بندقية تشيكوف

مجموعة قصصية لعدّة مؤلفين

CREATIVE HUB
المجمع الإبداعي

بندقية تشيكوف

مجموعة قصصية لعدّة مؤلفين

© جميع الحقوق محفوظة

الفرات للنشر والتوزيع

رأس بيروت - شارع عبلا - بناية بخعازي

ص. ب 6435-113 بيروت - لبنان

تلفاكس: 961-1-750554

بريد الكتروني: alfurat@alfurat.com

يمكنكم شراء الكتاب على الموقع: www.alfurat.com

الطبعة الأولى، بيروت 2017

ISBN: 978-9953-417-40-0

المحتويات

مقدّمة المجموعة		7
كعة	لبنى سبيتي	13
عبور	لبنى سبيتي	15
السبع حجارة	لبنى سبيتي	18
أكلتُ نصيبي	مريم الدر	20
نظرات ڤكتور	مريم الدر	23
نجمة في مرآة	مريم الدر	26
تفاحة أمير	هبة مقشّر	28
تم الإعلان	هبة مقشّر	31
الورقة	هبة مقشّر	35
بين الذنب والصواب	غنى الرباعي	37
في عريس	غنى رباعي	42
تائهة في حجابٍ رمادي	غنى رباعي	47
شوارب ليندا	رنا منصور	51
ثلاثة انفجارات	رنا منصور	54
جلال وفيكتوريا	رنا منصور	57

الرسائل اللوزيّة	حسين عمّار	60
السور القصير الشاهق	حسين عمّار	64
يوسف يا فول!	حسين عمّار	67
أكلنا كافيار	بتول رباعي	70
أخذتُ قراراً	بتول رباعي	73
ليالي الأُنس على ضوء الشّمعة	بتول رباعي	76
ضد مجهول	سمير شيبان	79
شنطة سفر	سمير شيبان	81
نون نور	سمير شيبان	83
أبيض أم أسود	مريم سبيتي	86
الاسمراني	مريم سبيتي	88
صبا جدتي	مريم سبيتي	90
تائه في فان رقم 4	أحمد شيبان	92
ثمة أشياء لا تنسى..	أحمد شيبان	95
كنا	أحمد شيبان	97
مربع	أحمد شيبان	100

مقدّمة المجموعة

للحقيقة احترتُ كثيراً كيف أكتب مقدمةً لهذه المجموعة القصصية؛ ليست الحيرة ههنا إلا مرادفاً لكيفية الكتابة عن مجموعةٍ أدعي أفرادها «أولادي». إذا تصبح الكتابة هنا صعوبةً مطلقة، فكيف لمرءٍ أن يكتب بعدل عن أولاده؟ تعرفتُ قبل أكثر من سنةٍ ونيفٍ تقريباً على هذه المجموعة، وقد كانوا من ضمن مجموعةٍ أكبر عدداً، ضمن الورش التدريبية التي كنت أعطيها في منهج «الكتابة الإبداعية» (صص)، ولم يكن في نية أي واحدٍ في المجموعة (الكبرى أم الصغرى) أن ننشر كتاباً. كان لدى الجميع رغبة هائلةٍ في فعلِ أمرٍ ما، لكن الباب كان غير واضح المعالم في تلك المرحلة.

بعدها، وخلال عام بأكمله ظللنا على تواصلٍ شهري وأسبوعي أحياناً ضمن لقاء «القصة القصيرة الأسبوعي»، الذي استحدثته بهدف قراءة قصص المجموعة أسبوعاً تلو الآخر. كانت الأمور تنضج شيئاً فشيئاً، وكانت الأشياء تأخذ شكلاً في عقل الجميع: ماذا لو قمنا بإصدار وطباعة مجموعةٍ قصصية تشترك فيها المجموعة بأكملها؟ كان الطرح في لحظةٍ ما. يومها نال الأمر استحسان الجميع. جاءت خطتنا بأن نطبع المجموعة التي تضمهم جميعاً اليوم، لنعاود لاحقاً إصدار مجموعةٍ لكل واحدٍ منهم إذا ما أمكننا. كان الجهد في لحظةٍ ما كبيراً، والتعب كثيراً، لكن المجموعة صمدت، وأظهرت أنها تقدر تماماً على إصدار مجموعةٍ قصصية متميزة، خصوصاً مع «الضحالة» التي تعتري «القصص القصيرة» هذه الأيّام.

منذ البداية، فاجئتني قدرة «أولادي» على قول الأشياء كما هي، دون تجميل، دون تزييف، حتى دون أي قوالب جاهزة، فمثلاً جاء عمل أحمد شيبان «تائه في فان

رقم أربعة» تصويراً واقعياً لحياةٍ يوميةٍ يخوضها ساكن الضاحية الجنوبية في رحلته عبر الفان رقم «4» الشهير، كل ذلك ضمن قالبٍ قصصي جميل، ولأن أحمد هو أفضل من يمارس تقنية «التويست» (Twist) ضمن المجموعة فقد أصر على أن تكون النهاية كما يحبها: مدهشةً، مفاجأة. الأمر الآخر الذي فتنني في التعامل مع المجموعة هو كمية التنوع الذي تمتلكه، فإذا ما كان أحمد قادراً على المفاجأة، كانت لبنى سبيتي مثلاً أكثر من يعطي مشاعراً في قصصه، فضلاً عن افتتانها بقريتها الجنوبية «كفرا»، فيما جاءت هبة مقشّر أكثر من يهتم بالتفاصيل ويركز عليها حتى لتستطيع أن ترسم المشهد كما لو أنك تشاهده بأم العين، فيما أظهر حسين عمّار في «يوسف يا فول» سخريةً قاسية. (بالتأكيد لن يتسع المكانُ هنا لتحديد سمات كل مشارك في العمل، وما أعطيته هو بغرض المثال لا التوصيف، كي لا «يزعل» أحدٌ لأنني لم أذكر إسمه بعد).

كان الهدف من الكتابة الإبداعية أولاً وأساساً، كورشة تدريبية، هو التدرب على الكتابة والخروج بها من النفق السيء الذي تمر به حالياً، إذ لا يخفى على أحد وجود أزمة كتاب حقيقية (في كل فروع الأدب وليس القصة القصيرة فحسب). لذلك فإنه من البديهي أن الهدف من هذه المجموعة هو إفساح المجال أمام دم جديد وجيل آخر من الكتاب. خصوصاً أننا أمام كتاب «تقنيين» ولو أنّهم لما يزالوا في أول الطريق فحسب. حيث استخدمت في القصص العديد من تقنيات القصص القصيرة بدءاً من تقنية الخمس نقاط، مروراً بالترتيب المنهجي، وصولاً حتى الهرم التناظري انتهاءاً بالنهاية المدهشة أو «التويست». كل هذه التقنيات يمكن ملاحظتها بسهولةٍ لدى قراءة العمل.

وقبل الختام، هي دعوةٌ للجميع لقراءة القصص المتنوعة التي تضمها هذه المجموعة، والتمتعّ بتلك الرحلة المدهشة داخل عقول كتّاب هذه المجموعة المتنوعين الإتجاهات والميول كما المشارب الفكرية (إذ ليس في المجموعة إثنان يشبهان بعضهما 30 بالمئة حتى). وأطلب من جميع القراء، المحترفين منهم والهواة، ألا يحمّلوا المجموعة ما لا طاقة لها به، وألا يقارنوها بأحد، أو بعملٍ آخر من أي نوع، فهذه المجموعة قد نضجت

كما هي ودون أي تدخل من أحد سواء في القصص أو حتى في السياق (ما عدا الكتاب أنفسهم وبعض التوجيهات «التقنية» من قبلي، والتصحيح اللغوي بالطبع). كذلك أتمنى ألا يقسوا في حكمهم عليها وألا يتعاملوا معها بالمسطرة والقلم، بل بالحكمة والإبداع.

وقد يسأل كثيرون عن ماهية عنوان المجموعة أي «بندقية تشيكوف»، الإسم مأخوذٌ من إحدى تقنيات الكتابة المعروف بمسدس تشيكوف (نسبةً للكاتب الروسي المعروف انطون تشيكوف أو تشيخوف)، حيث لا يمكنك نزع أي تفصيل من القصّة دون نزع القصّة بحد ذاتها. ولأن القصص بين أيدينا تسير بهذه الروحية، كانت التسمية قلباً وقالباً.

في الختام، لا يمكنني أن أنسى الدور الكبير للأستاذ جواد عدره في خروج هذه المجموعة للنور، إذ لولا مساعدته المشكورة لما كان هذا الكتاب بين أيدينا اليوم. أشكر الأستاذ الإعلامي والصديق سالم زهران ومركزه «مركز الإرتكاز الإعلامي» الذي كان حضناً دافئاً لنا خلال فترات طويلة من الورشات والتدريب؛ والذي فتح لي -شخصياً- المجال بدايةً لتدريب الكتابة الإبداعية. كذلك أشكر «دار- المجمّع الإبداعي» المركز الذي لولاه لما أكملت عملي على المجموعة.

أفراداً بالتأكيد لايمكن إلا أن أشكر «نون» زوجتي العزيزة، التي كلما تعبت من العمل أيقظت بي كثيراً من طموح، فدفعتني للأمام. أخي وصديقي باقر كركي الذي دعم المشروع في لحظاتٍ كثيرة، وأعطى المجموعة كثيراً من خبرته في مجالات متعددة.

عبدالرحمن جاسم

القصص

عنوان المجموعة القصصية

بندقية تشيكوف

كعة

لبنى سبيتي

لم يعرف أحد منا من اين اتت تلك «الصوصة» البيضاء. فهي مختلفة عن كل الدجاجات البلديات ذوات اللونين البني والأبيض في دارنا. وحدها برزت بلونها الناصع البياض. بحثنا عن اصحابها في كل مكان في الضيعة الى ان توصلنا الى قناعة ان صوصتنا البيضاء هربت حتماً من سكين بائع الدجاج الذي يتجول بسيارته مناديا «ياللا يا فروج».

اطلقنا عليها اسم «كعة». لا نعرف من اين اتى الاسم لكنه بدا مناسباً لها. فهي لم تتوقف عن «الكعكعة» وملاحقتنا اينما تحركنا. بدا انها تعتبر اننا والداها فلازمتنا كظلنا، بلونها النافر المختلف غير المنسجم مع رفيقاتها، اللواتي عاملنها كغريبة فلجأت الينا وتبنتنا.

كبرت «كعة» وكبرت. اصبحت رفيقة جلساتنا، شاركتنا كل شيء حتى شرب الشاي في امسياتنا. ولكنها لم تصبح دجاجة عادية الحجم، بدا انها تماهت بعائلتها -أي نحنُ- حتى ظننا انها لن تتوقف عن النمو.

اذهل حجمها الجميع، وحذرونا من ان «كعة» لن تعيش طويلاً. فسرعان ما سوف ينفجر بطنها الذي يلتصق بالارض عند سيرها. ونصحونا انه من الافضل ذبحها والاستفادة من لحمها، كما استفدنا لفترة طويلة من بيضها.

وهكذا ورغم صعوبة الامر اتُّخذ القرار. سيقت كعة الى الذبح واعني كلمة سيقت «حرفياً» فبمجرد ان طلبنا منها ان: «كعة امشي قدامنا» حتى نفذت ما طلب منها. لربما ظنت انها في هذه اللحظة ستذهب الى من يتقبل غرابتها. ولكن ورغم كل صداقتنا واهتمامنا بدجاجتنا الى درجة كبيرة الا ان ذلك لم يمنعنا من الاستمتاع بلحمها الشهي في اليوم التالي.

عبور

لبنى سبيتي

نتيجة الاحتلال الإسرائيلي لبلدتنا كفرا، توقفت الحياة اليومية العادية، وتعطلت الدراسة في المدرسة الرسمية وكذلك السير على الطريق العام، الذي يشق الجزء الحديث من البلدة ويربطه بالقرى القريبة.

لذلك كان علينا أن نتابع دراستنا، للصفين الأول والثاني المتوسط، في بلدة قانا. وأصبحنا نتنقل يوميا بين البلدتين في بيكاب خالي حسن، الذي كان يحرص على ايصالنا صباحا وانتظارنا مساء لاعادتنا إلى القرية. إلى أن عمد الاحتلال الإسرائيلي، الرابض على تلة الحقبان، إلى إطلاق النار بشكل متعمد باتجاه السيارات الداخلة إلى البلدة، مما أسفر عن استشهاد علي، أحد أبناء القرية الذي كان يعمل على تأمين الحاجات الأساسية لها، فقطعت الطريق بشكل تام.

في ذلك النهار، خرجنا من المدرسة في الموعد المحدد، لكن خالي لم يكن ينتظرنا. انتظرنا، انا وأختي وخالاتي وخالي وسام، ولكن دون جدوى. وعندما لم يتبق أحد في المدرسة، قررنا أن نتجه سيراً على الأقدام إلى الضيعة. واتفقنا على أن كل ما علينا فعله هو الانتباه، واجتياز بلدة صديقين إلى أن نصل إلى العاصي، والعاصي جبل غير مأهول؛ فلا بيوت ولا أناساً فضوليين، يتحرشون بنا لمعرفة ما إن كنت وشقيقتي توأمين. وهناك سنرتاح ونتابع المسير حتى نصل إلى الضيعة.

رحلتنا على طريق العاصي كانت مليئة بالضحك واللعب من جهة، وقطف النباتات

الخضراء لأكلها من جهة ثانية. فالطريق طويلة وقد ضربنا الجوع. وبعد حوالي الساعة والنصف من التسلق المستمر، وصلنا إلى البلدة، إلى مفرق الموت حيث استشهد علي. وهناك عدنا إلى هدوئنا وانضباطنا، فعلينا أن نقطع مسافة تتعدى المئة متر، حتى حاجز الطوارئ، مقابل المدفعية الإسرائيلية. واتفقنا أننا إذا تابعنا السير بصمت، في سننا الصغيرة، لن يطلقوا علينا الرصاص. ولكن الإسرائيليين وعملاءهم لم يعملوا حسب تفكيرنا الطفولي. فما إن وطئت أقدامنا المفرق حتى بدأوا بإطلاق الرصاص علينا. ركضنا، حتى وصلنا إلى مبنى من ثلاث طبقات واختبأنا خلفه. لم يتوقف الرصاص، بل استمر بكثافة، وكنا المستهدفين منه، عرفنا ذلك من أزهار اللوز المتساقطة بكثافة على الأرض من الشجر المقابل لنا.

احتضنّا بعضنا بعضاً بشدة. نظرت خالتي بشرى إلينا وعلى وجهها تعبير جدي وحازم «اقرأوا آية الكرسي حتى الله يعميهن عنا». عندها بدأنا بقراءة آيات لا نعرف معناها، حتى صرخت فينا مرة ثانية «هذه الفاتحة مش الكرسي! شو بدكن تموتوا؟!!!» توقف الرصاص، فوقفت خالتي بشرى مرة ثانية وقالت «بدي فوت عالحمام!» «وين بدك تفوتي عالحمام؟!!! انطري شوي. هلأ بنوصل عالبيت!» «كيف بدنا نوصل عالبيت؟! لازم ننطر تتعتم ونركض بسرعة عحاجز الطوارئ!» تدخلت قائلة «بنطلع من حد شجرات اللوز وبنمرق من ورا بيت ام عباس وبنوصل على الحاجز».

تدخلت بشرى «شو؟! ايه ساعتها بيفكرونا البقرات! تتذكري كيف قوصوا البقرة وقتلوها؟ ما بتفرقش معهن! ديروا وجكن». وقفزت إلى أرض المبنى لتلبي نداء الطبيعة.

لدى رؤيتنا لها في الحمام بدأنا بالضحك ونسينا الوضع الذي كنا فيه. عندها سمعنا صوتاً ينادينا بلغة غير مفهومة، نظرنا فإذا بأحد جنود الكتيبة النيبالية في القوات الدولية ينادينا: «come, come».

وقفت خالتي دلال ووضعت يدها على خصرها وباليد الاخرى اخذت تشير بعصبية: شو come, come، بدك اسرائيل تقتلنا؟ you come come سامع you come, come. اسرائيل boom, boom عندها رمى خالي وسام بجسمه على الارض وكأنه اصيب

فأشارت اليه دلال ونحنا بنموت هيك. بدك ايانا نموت؟

في هذه اللحظة اصابنا ضحك هيستيري. فهم الجندي مضمون الاشارة: اسرائيل no boom, boom, come come.

جلست خالتي إلى جانبنا على الأرض وصرخت بشقيقتها : «خلصتي؟ إيه اقعدي حدنا. وسام قوم من استشهادك واقعد هون ونحن من هون مش متحركين. قال شو: والله خايف على حالك boom boom. لانه مش سامع come, come

في جلستنا الاعتراضية لاحظنا حركة واصواتاً عند الكتيبة النيبالية وبعد فترة من المشاورات نزل أحدهم إلينا وعلى وجهه ابتسامة ليطمئننا: «come with me

فوقفت دلال وعلى وجهها دلائل العزم واوقفتنا صفاً واحداً واخبرته بما يتوجب عليه القيام به «you take 1, 1» وأشارت إلينا واحداً تلو الآخر.

فابتسم الجندي المسكين ونقلنا واحداً بعد الآخر واضعاً نفسه مقابل الثكنة العسكرية الإسرائيلية إلى أن وصلنا إلى الحاجز وتنفسنا الصعداء.

السبع حجارة

لبنى سبيتي

كانت السبع حجارة من الالعاب المفضلة لدينا في ملعب المدرسة، ويشترك في لعبها كل تلامذة الصف من صبيان وبنات. اما الناظر الصارم فكان يسعى جهده لحماية نطاق لعبنا لنتمكن من اللعب بامان وبدون ان يؤذي احدنا الآخر، لان ارض ملعب المدرسة، كما مدرستنا الرسمية الواقعة تحت حسينية البلدة، بحاجة الى صيانة واعادة تأهيل.

لبست في ذلك النهار بنطلوني المخملي العسلي اللون الجديد ومشيت اتباهى به حول رفاقي. وازدادت حماستي بالدفاع عن فريق البنات الذي كنت ضمنه. استشرست في اللعب لاثبت اننا لسنا اقل شأناً من فريق الصبيان الذين كانوا يتباهون بأنفسهم بالقول: «طقوا موتوا نحنا الصبيان اقوى منكن» «يا حرام البنات... روحو بلشو تعلمو الطبخ من هلأ».

بعد وضع الحجارة على بعضها بعضاً من قبل «فريق البنات»، بقي حجر واحد على الارض وبقيت وحدي القادرة على وضعه، فكل فريقي اصبح خارج اللعب بعد ان لمسته الطابة ووقفت الصبايا جانبا يشجعنني «يللا لينا يللا لينا» بصوتهن الهادر. في ذات الوقت الذي اصبح فيه فريق الصبيان بمعظمهم يركضون خلفي لمنعي من وضع الحجر السابع احسست بأن «انفاسي رح تخلص» وعندما وصلت الى بعد خطوة واحدة من الحجر المنشود وقعت بقوة.

لم يتوقف التشجيع والحماس «قومي قومي». قمت بصعوبة ولكن التعبير على وجه رفيقاتي جمدني في مكاني «يييييي» ووضعن ايديهن على أفواههن. نظر الي «محمد» غريمي في فريق الصبيان وقال: «انطري رايح جيب خالتك» وسمعت همهمتهم «حرام ليكو ركبتها كيف».

طبعا، وقبل ان اعرف ما الذي حدث لركبتي كان صراخي يتردد في انحاء المدرسة. عندها طلب الناظر من خالتي: «غسليلها». اخذتني خالتي «علا» تلميذة الصف الخامس وهي تحاول تهدئتي: «اهدي ما فيه شي هلأ بغسلك ما تخافي» وعند رؤيتها للجرح توقفت: «رح اخدك على البيت لعند عمتك، ما فيي غسّلّك»

اخذت الاذن من الناظر وقادتني على طريق البيت الذي يبعد فقط حوالي الخمس دقائق عن المدرسة. لم يتوقف بكائي او بالاحرى «جعيري» طوال الطريق الى البيت والذي كان يزداد حدة مع كل خطوة ما لفت انظار الجيران وسألوا خالتي بفضول «شو بها بنت اختك» «وقعت وجرحت ركبتها».

خرجت عمتي من البيت عند سماعها صوت نواحي. وصلت الى باب الجنينة: «شو بكي يا عمتي؟ روقي هلأ بحطلها دوا وبيمشي الحال، ما صار شي». ولكن تابعت البكاء على ذات المنوال. اخيراً امسكت بي بحزم ورفعت وجهي اليها وبحزم: «بس!! بيكفي هالقد شو بكي؟» رددت بصوت مخنوق: «انخزأ البنطلون».

أكلتُ نصيبي

مريم الدر

ذُهل الجميع عندما دخلت عليهم في ذاك الصباح الحار من شهر آب. كانوا سيباشرون احتساء القهوة على مصطبة دارهم في قريتهم الساحليّة عندما رأووها على تلك الحالة المريبة. كانت تترنح في مشيتها، عيناها حمراوتان، شعرها منفوش، خدها أحمر متورم وساقاها ويداها دامية. شهقت أمّها سائلةً: «ماذا حل بك؟». شعرت بالغثيان وحاولت الوصول جاهدةً الى أول كرسيّ فلم تُسعفها قدماها فألقت بثقل جسدها على حافة المصطبة وكادت تقع لاختلال توازنها فسارع اليها ابن خالتها وأمسك بها. ما إن لاحظت وجوده حتى حاولت بعجز واضح ترتيب شعرها وتسوية ثيابها.

شخصت العيون إليّها وتسمّرت عليها. الكل يحاول أن يستشف أي معلومة تشي بما حلّ بها.. ترى ماذا يكون حلّ بهذه الفتاة المسكينة؟!

بادرت أمها بالسؤال ثانيةً: «ماذا حل بك يا عمري»

خرج صوتها محشرجاً وقالت: «كانت أسوأ ليلة في حياتي. لم أتخيل يوماً أن يحدث ما حدث.. لقد هجموا عليّ وكانوا كُثراً.. لم أدر من أين أتوا. لم أشعر إلا وهم حولي يلمسونني. بدأت أضربهم يميناً ويساراً.. أضرب بيديّ وأركل برجليّ ولكن عبثاً حاولت يا أمي لقد كانوا كثراً.. إنهم وحوش وحوش..مجرمون حقا مجرمون..»

«يا لطيف يا لطيف» قالت امها بصوت مشفق على منظر ابنتها..

«لماذا بقيت هناك؟ لماذا لم تعودي؟» قالت أختها الكبرى.

«بلى عدت.. لففت نفسي بالشرشف وهربت ولكني وجدت كل أبواب البيت مغلقةً حتّى الشبابيك.. طرقت الباب عدة مرات وطرقت على شباك غرفتك أمي ولكن لم تستيقظوا.. خفت أن أوقظ الجيران في هذا الوقت من الليل». «ماذا فعلت.. أين ذهبتِ؟؟» قالت أمها المذهولة مما تسمع.

«لقد جلست على درج السطح وغفوت ربما بعد أذان الفجر». ساد صمت حذر قالت أختها بعده بنبرة حادة: «إنّها غلطتك لقد نصحتك أنا وأمك بعدم الذهاب ولكنك كالعادة عنيدة ورأسك يابس.. لا تعيرين أذناً لما نقول وكأن نصائحنا لا تليق بك أيتها العنيدة..انظري لحالك الآن هل هذا أفضل؟؟

«إنها أسوأ ليلة في حياتي أسوأ ليلة.. رأسي سينفجر أشعر بالغثيان يا أمي» قالت بتعب وإعياء. رائحة سجائر والدها التي امتزجت برائحة القهوة والياسمينة التي كانت تتدلى من سور حديقتهم كانت قد زادت من شعورها بالغثيان وشعرت وكأنها على وشك أن تتقيأ فوضعت يدها على فمها استدراكاً..

على حالها وقال: سأحرق أنفاسهم سوف أقوم برشهم..

قاطعته جارتهم أم وسيم قائلة «إنها غلطة أختك انظر إليها أيعقل أن تذهب بهذا الشورت القصير!! ماذا كانت تتوقع؟؟ أن تكون مكشوفة الساقين على هذا الحال وأن لا ينهشوها؟»

رفعت رأسها عندما سمعت صوت جارتهم. لم تكن قد لاحظت وجودها حين دخلت. سوّت من جلستها ونظرت الى ساقيها الطويلتين المكشوفتين وآثار الأظافر والدماء الجافة عليهما.. نظرت الى أظافرها لترى الدم الجاف تحتهما.. لعنت حظها لوجود الجارة هنا وسماع كل ما دار من حديث.. حدثت نفسها سائلةً ما الذي أتى بهذه المرأة الثرثارة باكراً الينا.. رباه لا أطيق هذه المرأة.. أتراها تخبر ابنها وسيماً بما حلّ بي؟ هذا ما كان ينقصني!! وسيم هذا المغرور المتبجح الذي يظن أن لا وسامة تفوق وسامته.. التافه الذي يظن أننا لا نعرف أن عضلاته المنفوخة هي بفعل

الحقن والأُبر لا بفعل التمارين والأثقال التي يحملها.. أين كان أمس ليدافع عني.. عضلات وهمية لا تقوى على قتل برغشة..»

خرج صوت أبيها هادئاً بعد أن سحب آخر أنفاس سيجارته التي ذاب معظمها بين إصبعيه حين أذهله حال ابنته وأنساه إياها

قال: «يكفي كلاماً وتحقيقات قم بنيّ وأحضر السبيرتو لتنظيف خدوش أختك وأحضر مرهماً أيضاً».

صرخت خائفة: «أبي لا.. السبيرتو يحرق..السبيرتو يحرق»

استطرد والدها: «أحضر إذن بعض ماء الورد أو ماء الاوكسجين

وأنتِ يا ابنتي في المرة القادمة عندما تقررين أن تنامي على السطح خذي معك دواء ضد البرغش أو ناموسيّة! تعيشي وتاكلي غيرها يا بابا..

قالت بصوت متعب: «لا أريد أن آكل غيرها بابا.. لا أريد..أكلت نصيبي منها عن مئة عام.. يكفيني هذا..»

نظرات ڤكتور

مريم الدر

نظرات ڤكتور مسُمرّةٌ عليّ، كيفما ألتفتُّ أجده يُحدّق بي.. إلاّ أنني لم أستطع أن أتبين دوافعه!! هل نظراته تلك بنوايا سلبيّة وعنصريّة؟ كوني مهاجرة جديدة الى الولايات المتحدة يجعلني غافلة عن كثير من تفاصيل الحياة وطباع الناس هنا.. تكاد ترى وجهاً من عرق مختلف كلما رمشت عينك.. ينبغي لك أن تفهم عادات وثقافات كل تلك العيون التي تحاصرك أينما ذهبت.

في عام 1996 وفي صف اللغة الانكليزية للمهاجرين كنّا 19 طالباً من مختلف الجنسيات.. كنت وفريدة المغربيّة العربيتين الوحيدتين في هذا الصف. إلاّ أنّ فريدة لم يكن ثمة ما يشي بدينها كحالي أنا.. فحجابي كان عنواناً صريحاً لهويتي الدينيّة وهذا لربّما ما يفسر نظرات فكتور المريبة!!.. كان صفنا صفاً متقدماً في اللغة الانجليزية.. معظم الطلاب يتكلمون الانجليزية بسهولة لأنهم قد قضوا وقتاً طويلاً في البلد وقد اكتسبوا لغتهم من الشارع والعمل..والبعض كحالي قد نال تحصيلاً متقدماً في بلاده.. الكل كان يبحث عن تطور ما في هذا الصف. أولئك الذين يتكلمون يحتاجون لأن يتعلموا القراءة والكتابة.. وأولئك الذين يقرأون ويكتبون يحتاجون لأن يبرعوا في المحادثة.. لهجاتنا كانت كأشكالنا وكثقافاتنا مختلفة ومتباعدة.. فكتور كان يتكلم بسرعة وسهولة ولكن لهجته الاسبانيّة كانت تحول بيني وبين أن أفهم الكثير مما يقول تماماً كما لا أفهم تلك النظرات الحصريّة نحوي..

ما كنت لأجرؤ وأخبر زوجي بمخاوفي وإحساسي بالخطر الذي يلوح في عيني فكتور.. فزوجي لطالما أصرّ على أن أنزع حجابي لأن لا ضرورة له حيث أنا شأنه في ذلك شأن الكثيرين الذين يرون في الحجاب مجرد زيّ نلبسه عند الضرورة ولا يرونه مثلما أراه كهوية لا يمكن أن تنسلخ عنها بين هجرة وضحاها..

في رحلة عودتي مساءً بعد انتهاء كل صف كان الخوف يتملّكني.. المدرسة تبعد مسافة محطة واحدة في السابواي عن بيتي.. الوقت المتأخر نسبيًا كان يشعرني بمزيد من الخوف والإرباك.. بتُّ كثيرة التلفت عن يميني وعن شمالي ومن خلفي.. لم يخطر ببالي أن فكتور حينما يقرر مهاجمتي سيهاجمني من الأمام.. من حيث بدأت سهام نظراته.. على وجهي مباشرة.. وعيناه في عينيّ..

حدث ذلك في مساء عاصف. كان صوت الرعد يصّم أذنيّ.. العواصف الرعدية في نيويوك غالباً ما تكونً قوية وصاخبة.. اضطررت لأن أمشي تحت المطر المنهمر غريراً. فقد كنت قد نسيت مظلتي في البيت.. حين صعدت تلك الدرجات الاسمنتية الستة متوجهةً نحو بوابة المدخل الخشبية الكبيرة كان واقفاً هناك وكأنه ينتظرني.. كنت مبللةً تماماً.. الرعشة أخذت مني كل مأخذ. لا أدري أهو من البلل الذي أصابني أم من رؤيته أمامي في الظلام.. لم أتصور أنّ النهاية ستكون قريبة هكذا.. مقتل مهاجرة مسلمة على باب مدرستها.. طعناً ربما. لست أدري بعد..

كنت قد درّبت نفسي كثيراً على طلب النجدة بالانجليزية خوفاً من أني في لحظات الخوف قد أستغيث تلقائيّاً بلغتي.. لكني وجدت نفسي بكماء في تلك اللحظات.. بكل الحالات ما كان لأحد أن يسمعني وسط أصوات الرعد المتواصلة.

لا زال واقفاً.. جالت عيناه على كل وجهي كالعادة ثم أخرج يديه من جيبيه وبيد واحدة وبحركة سريعة قام بفتح الباب لي.. تقدمت بتردد وثقل واضحين.. وما إن استشعرتُ الدفء داخل المدرسة واستأنست بالضوء فيها حتى عادت عجلة التفكير الى العمل بعدما كانت قد توقفت بفعل الخوف.. تقدم قريباً جداً مني وسألني بلهجته الثقيلة كخطواتي..» هل أنت حقيقية؟؟

(are you real?).. وحين لاحظ عدم فهمي لما عنى أوضح قائلاً: هل أستطيع لمسك؟ (can i touch you?).. برغم أني لم أجبه بشيء لأني شككتُ بفهمي لسؤاله.. رفع فكتور إصبعه نحوي وقام بلمس كتفي بطرفه كمن يريد أن يتحقق من شيء يجهل طبيعته.. وما هي إلا ثوان حتى أعاد الكرّة وفي هذه المرة قام بالضغط أكثر للتأكد من أن ما يلمسه حقيقيّ..عندها انفرجت شفتاه عن ضحكةٍ مستهجنةٍ وقال بحماس: أنت بشريّة!

أنت حقيقية.. لطالما ظننت أنّك ملاك!! لديك وجه ملاك.. ينبغي أن يضعوا صورتك على بطاقات أعياد الميلاد..

(You are a human!!..

You are real!

I thought you were an angel!

You have an angel face!! They should put you on christmas card!..)

نجمة في مرآة

مريم الدر

تبسمت ابتسامة واسعة كشفت عن أسنان متناسقة عاجيّة اللّون.. ثبتت نظرتها أمامها وقالت بصوت عذب وبنبرة واثقة: «مساء الخير مشاهدينا.. أرحب بكم في الحلقة الأولى من برنامج».. سكتت نهلا وحوّلت نظرها إلى الأسفل وبدأت تُكلّم نفسها: «ما اسم هذا البرنامج؟ لا بدّ وأن يكون له اسم..». حكّت جبينها بسبابتها فبان طلاء أظافرها لامعاً.. رفعت رأسها بعد بُرهة وعادت إلى وضعيتها الأولى وأكملت من حيث توقفت: «أرحب بكم في الحلقة الأولى من برنامج (بدك حظ).. ثم قفزت فجأة وبسرعة وتوجهت إلى المرآة العريضة أمامها وألصقت وجهها بها وهي تتحدث بصوت عال وتقول: «ما كل هذا السواد تحت عينيّ»... التفتت بطريقة آلية يميناً واتجهت صوب منضدة خشبية في منتصف الغرفة وفتحت أول أدراجها وتناولت الكونسيلرو فتحته ووضعت بضع نقاط تحت كل عين ثمّ وبخفة راحت تمزجها بأطراف أناملها. ولما انتهت عادت إلى جلستها على الشيزلونج النبيذي ذي الأزرار الفضية البرّاقة وثبتت نظرها مجدداً على المرآة لترى انعكاس صورتها ومن خلفها العمود الرخامي الزهري.. بانسيابية خرجت الكلمات من بين شفتيها المكتنزتين: «ثمة أشياء تحتاج للحظ كي تحدث ويحدث أن الحظ عنيد ومشاكس حين يقرر مجافاتنا يكون في منتهى الإصرار والجديّة وحين تبدأ المواجهة القاسية بيننا وبينه وكي نفوز عليه في معركة استدراجه نحونا نحتاج كي نفوز للكثير من الحظ».. . قهقهت عالياً ومسدت شعرها المرفوع بكعكعة سوداء كبيرة ثم طبقت شفتيها على إحداهما

على الأخرى في محاولة لتوزيع أحمر الشفاه القاني على كل زوايا فمها قائلة: «يا لذكائي»!!.. وقفت لتتأمل قدّها الأقرب إلى الرشاقة منه إلى الامتلاء ثم عادت إلى مركزها الأول وكأنها فارس في ساحة معركة يصول ويجول ثم يعود إلى نقطة تمركزه الأولى ليستريح ويراقب الميدان.. وفي خضم هذه الصولات سمعت صوت الباب يُفتح ويُغلق بقوةً ففزعت من جلستها وهبت واقفةً راميةً بالحذاء المخملي الأحمر ذي الكعب العالي من قدميها وتناولت منديلاً ورقيّاً مسحت به أحمر الشفاه عن شفتيها وأمسكت بسرعة الضوء وزرتها البيضاء ولفتها حول خصرها وما لبثت أن سمعت سيِّدتها تناديها من الطابق السفلي: «نهلا يا نهلا بعد ما انقلعتي وخلصتي تنضيف فوق؟؟ انقبري انزلي لعندي هلأ».

تفاحة أمير

هبة مقشّر

في قريتي «كفر التفاح» المشهورة بزراعة التفاح، لم أكن وحيداً لوالديّ فقط، بل كنت الوحيد في القرية الذي يكره التفاح بشدّة وكأنّ التفاحة خالتي زوجة أبي.

فكثيراً ما كنت أصادف أهالي القرية تارةً يأكلون التفاح أو يتحدثون عنه تارةً أخرى، صغاراً كانوا أم كباراً. فالطالما شعرت بأنهم سوف يلقون عليّ التحية بِـ: «صباح التفاح» أو «مساء التفاح».

فعلى الرغم من أنني لم أكن أتجاوز حينها الثماني سنوات، إلاّ إنّ الكثير من الأهالي كانوا يستمتعون بالنظر إليّ. فقد كنت محبوباً بالنسبة لهم وجذاباً ببشرتي السمراء التي تميزني عن سائر الاولاد في سنّي آنذاك. هذا ما قاله لي المختار أبو عماد آخر مرة التقيت به عندما أطال النظر إليّ وهو مبتسم.

أمير.. أنت ولد ذكي.. هذا ما كانت والدتي «حلوة» تقوله لي دائماً وتشجعني على أن يكون لديّ طموح وأن أسعى لتحقيقه، اعتقاداً منها أنه سيكون لي مستقبل مهم وناجح.

كانت والدتي آنذاك مزارعة في أحد البساتين المجاورة من منزلنا، وكنت أذهب أحياناً للعمل معها وكأنني السُّلّم الذي تستعين به في قطاف التفاح، ذلك لأنني ورثت عن جدي (والد أبي) طول القامة وتميزت بها مقارنة بجيلي، لأكون بذلك مساعداً لأمي

في قطاف التفاح. حتى أنني ورغم كرهي للتفاح إلاّ أنني كنت أطعم أمي التفاحة بيديّ بقدر حبي لها وتعلقي الشديد بها، فأنا لم أشأ يوماً ان أغضبها ولا حتى هي.

وبعد مرور عدة سنوات، وفي أحد الأيام عندما كانت والدتي قد بلغت من العمر الخامسة والثلاثين عاماً، وبينما كانت تقطف التفاح، وقعت من على السلّم وأصابت رأسها وما لبثت أن توفيت. عندها شعرت بالذنب لأنني لم أستطع أن أكون بجانبها ذلك اليوم فقد كنت أساعد أبي بإحضار الحطب.

وقد كان لهذا الأمر تأثير كبير عليّ، فحزنت كثيراً لفراقها، فلطالما كنت أصفها أينما اكون بالحنونة بقدر ما كانت تحبني لدرجة أنها لم تكن تقوى على حزني خاصة أنها لم تجبرني يوماً على أكل التفاح كما كان يفعل بعض أهالي القرية مع أبنائهم آنذاك.

ومنذ وفاتها وأنا أفكر بكلامها لي وتشجيعها الدائم بأن أسعى لتحقيق طموحاتي وأهدافي.

وفيما كان اهالي القرية من الرجال يجتمعون كل ليلة سبت في منزل أحدهم ويسهرون سوياً، حضرت وللمرة الأولى مع والدي هذه السهرة ولم أكن حينها قد بلغت الخامسة عشرة من عمري. وعندما وصلنا الى منزل ابو ابراهيم الذي كان دوره تلك الليلة، وبمجرد دخولي لم أكترث للحاضرين بقدر ما لفتني صحن دائري كبير موجود على طاولة الخشب في منتصف الغرفة ومليء بالتفاح على أنواعه.

وبالرغم من معرفة أهالي القرية أنّ أنني أكره التفاح، إلاّ أنهم اصروا عليّ لتناول تفاحة واحدة متذرعين لي أنّه اذا أكلت من التفاح سوف تكون أمي المتوفاة سعيدة جداً لأنها كانت تحب التفاح، مستغلين بذلك حبي وتعلّقي بوالدتي.

عندها ساد الصمت بين الحاضرين منتظرين ردة فعلي تجاه ذلك، حتى ابو محمود الذي كان معروفاً بكثرة كلامه شمله الصمت والانتظار وهو يتكئ على عصاه الخشبية المهترئة محدقاً النظر حتى كادت عيناه تخرجان من مكانهما لكثرة ما حدّق.

في هذا الوقت وبعدما تأثرت بكلامهم، أخذت أتمتم قائلاً: «أشعر أنه عليّ تذوق ولو تفاحة واحدة في حياتي لعل بذلك تكون حقاً أمي سعيدة».

وما هي إلاّ لحظات حتى مددت يدي الى الصحن مختاراً تفاحة صغيرة الحجم شديدة الاحمرار ذو مذاق حلو ولون لامع. اعتقد الأهالي حينذاك انني اخترتها لأنها المميزة في الصحن بين حبات التفاح الأخرى، ولكن لم يكن اختياري لها لهذا السبب بل لأنّ والدتي كانت تحب هذا النوع تحديداً من التفاح.

ما إن وضعت التفاحة بين شفتيّ لأقضم القضمة الأولى بين تشجيع الأهالي، حتى شعرت بغصة وفرحة معاً؛ غصة لأنّني لا أحب التفاح معتبراً القضمة قنبلة موقوتة ستنفجر في فمي، وفرحة لأنني شممتُ رائحة والدتي فيها.

ولكنّي ما إن تذوقت التفاحة حتى عرفت السر وراء حب أمي لهذا النوع تحديداً، فأكملت التفاحة بشراهة وكأنني أرى التفاح للمرة الأولى ناسياً وجود أهل القرية وهم ينظرون إليّ عجباً. وكانت هذه أول تفاحة آكلها منذ ولادتي.

وعندما انتهيت من أكل التفاحة انتبهت إلى الأهالي وهم يصفقون ويصرخون بصوت مليء بالفرح «هاي هاي برافو يا أمير» منادياً أبو ابراهيم زوجته بأعلى صوته فرحاً «أكل الولد التفاحة».

والآن أصبحت أبلغ من العمر واحداً وثلاثين عاماً آكل التفاح بشهية وفرحة، حتى أنّني بتُّ صاحب أكبر بستان لزراعة التفاح في القرية وأسميته «بستان حلوة للتفاح» على اسم والدتي التي كانت سبباً لهذا الطموح الذي حققته والذي تكوّن لديّ منذ أكلت أول تفاحة حمراء.

تم الإعلان

هبة مقشّر

وأخيراً، تخرجت وحصلت على شهادتي الجامعية في المحاسبة بعد ريجيم لاإرادي دام ثلاث سنوات. فالطريق من مدخل الجامعة اللبنانية لأصل إلى باب كلية إدارة الأعمال كان أشبه برياضة صباحية كنت ملزمة بها.

عندها بدأت بالبحث عن وظيفة. وكانت البداية في صفحات جريدة الوسيط المخصصة للوظائف التي لعل وعسى أن أجد فيها وظيفة تليق بالشهادة التي حصلت عليها.

وبمجرد رؤيتي لإعلان يتناسب مع المؤهلات العلمية التي امتلكها، لم أتردد في الاتصال برقم الهاتف الموجود في الإعلان، وكنت انتظر الرد ولكن، في الكثير من الأحيان استمع الى صوت اليسا وهي تغني «يا ريت» كنغمة انتظار، وتنتهي الأغنية ولا أسمع أي جواب، وكأن صاحب الرقم يقول لي «يا ريت فينا نرد».

- .. إنو على الأقل قولوا «ألو».. «Bonjour».. أيا كلمة بس انو سمعوني صوتكن.. أف..

وعندما كان يتكرّم عليّ صاحب الرقم ويجيب على اتصالي، كنت أحصل على رد بأنه قد تم الحصول على موظفة؛

- منذ متى حصل ذلك واليوم تم وضع الإعلان في الجريدة. فهل من الممكن أن تكون البطالة كبيرة لهذه الدرجة وأنا لا أعرف؟ يا للعجب.

وأحياناً لم أكن أحظى بفرصة الاتصال، فالمُعلِن يضع في الإعلان × الأفضلية لسكان المنطقة× ولكن إذا كنت أنا قد قبلت بالعمل في غير نطاق منطقتي فلماذا الرفض؟

حسناً؛ من الطبيعي حينها أن لا أتجرأ وأتصل به لأسأله كي لا يحرجني كما حصل معي في السابق ويقول لي « شو ما قريتي الإعلان يا عيني».

وبعد الانتهاء من تصفح وظائف الجريدة بلا جدوى، انتقلت ببحثي الى النافذة/ الويب لا سيما www.bayt.com و www.hirelebanese.com ووجدت الكثير من الوظائف المناسبة من حيث دوام العمل والراتب المعروض ولم أكن مترددة في إرسال سيرتي الذاتية على رقم الفاكس أو البريد الاكتروني المخصص للشركة.

وانتظرت منهم جواباً بالقبول أو أي رد على الأقل، لكن عبثاً كما قالت أم كلثوم في أغنيتها (أنا في انتظارك)، بقيت منتظرة بدون أي رد.

وبعد حوالي الأسبوعين، وإذ باللحظة المفرحة تأتي بالنسبة لي عندما وردني اتصال من إحدى الشركات بأن سيرتي الذاتية تناسب الوظيفة المطلوبة وتم تحديد موعد للمقابلة بشأنها.

وعندما ذهبت للموعد، كان صوت الكعب العالي قد سبقني للوظيفة ولقيت ترحيباً عند وصولي الشركة وكأنني شخصية مشهورة؛ ولكنّي أضطررت للانتظار في غرفة الاستقبال حوالي خمس عشرة دقيقة كي ينتهي مدير الموارد البشرية (المسؤول عن التوظيف) من اجتماعه خاصة وكعادتي وصلت قبل الموعد المحدد.

وعندما اجتمعت بالمدير وبدأنا بالحديث عن تفاصيل الوظيفة، رأيت حينها القبول واضحاً على وجهه.. فلمَ لا وأنا ابتسامتي لم تفارق وجهي فترة المقابلة.. خصوصاً أنني كنت بكامل أناقتي، حتى أنني صفّفتُ شعري ووضعت المكياج الكامل وكأنني ذاهبة إلى مناسبة مفرحة.

- لا مانع لدي من التضحية بدفع بعض التكاليف لأهتم بمظهري الخارجي، فسوف أعوض هذه الخسارة من أول راتب أحصل عليه.

وفي سياق الحديث عندما تطرقنا لمكان سكني، تأسف فوراً المدير وقال لي «الأفضلية لسكان المنطقة».

هنا أصابتني الدهشة من هذا الكلام وأصبح لديّ فضول لمعرفة السبب الحقيقي وراء هذا الموضوع، فهذه ليست المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الرد.

- رنا: عذراً، ولكن ما المشكلة فيما إذا لم أكن من سكان المنطقة؟

- المدير: لأنكِ اذا حضرتِ الى الوظيفة من مكان بعيد نخاف أن تتأخري عن الدوام وهذا لا يناسبنا

- رنا: ولكني أتعهد لكم بالالتزام بالوقت المحدد

- المدير: صراحة.. نحن لا نعطي بدل نقل للموظف

- رنا: ولكن هذا حق قانوني لا يمكن التلاعب به

- المدير: هذا نظام شركتنا، والمنطقة شرط أساسي لقبول الموظف (ة) لدينا.. عذراً منك آنستي

- رنا: حسناً.. سررت بالتعرف إليك

- المدير: وأنا كذلك.. بالتوفيق

- رنا: شكراً

لم يكن أمامي سوى المغادرة، على الرغم من أنني لم أكن مسرورة وكذلك لم أقتنع بما قاله.

استمررت على هذا الوضع عدة شهور ولم أجد ما هو مناسب، فلم أكن لأنقل مكان سكني إلى مكان وجود الوظيفة.

قررت حينها، أنني ولكي أجد وظيفة تناسبني لا بد لي وأن تكون في منطقة سكني، لذا لم يكن أمامي سوى القيام بفتح تجارة خاصة بي (محل ألبسة نسائية) في مكان إقامتي.

وفعلاً، قمت بإدارة المحل بمفردي مدة خمسة شهور، إلى أن قررت في نهاية الامر أنه لا بد لي من أن أتابع دراستي الجامعية وأحصل على شهادة الماجستير. ولكن لكي يتم ذلك كنت بحاجة إلى موظفة تساعدني في المحل بدوام جزئي فأنا لن أستطع المكوث طوال الوقت في المحل.

عندها، اتصلت بالجريدة لأضع الإعلان، وعندما سألتني الموظفة حينها عن مضمون الإعلان بادرت بالقول لها: « يلزمنا فتاة للعمل في محل ألبسة نسائية..»

وسرعان ما انطلق لساني بالقول وبشكل لإرادي: لو سمحتِ ضعي لي بالخط العريض «الأفضلية لسكان المنطقة»..

الورقة

هبة مقشّر

يا إلهي أين يمكن أن تكوني قد وضعتِ الورقة يا بتول؟

حاولي أن تتذكري أين هي.. أين.. أين؟

أيمكن أن أكون قد رميتها في سلة المهملات عن طريق الخطأ كعادتي، عندما كنت غاضبة، كما رميت سابقاً فاتورة الكهرباء التي أعطاني إياها قاسم وقال لي أن انتبه عليها جيداً وألاّ أضيعها، وحصلت مشكلة بسببها آنذاك؟

أو يمكن أن أكون قد وضعتها في المكتبة الموجودة بالصالون؟! لا..لا.. أعتقد أنها ما زالت في حقيبتي ذات اللون البني التي كنت أحملها ذلك اليوم.

ما بالي اليوم وكأني أعاني من مرض الزهايمر..

.. يا إلهي يجب أن أتذكر. إنها ورقة مهمة..

الأفضل لي أن أتحرك من على هذه الكنبة الممزقة التي باتت تشبه خريطة لبنان، وأبحث في غرفتي التي أصبحت مثل ساحة المعركة، كل غرض في مكان وكأنما هناك قنبلة انفجرت فيها. ولكن ليس أمامي حل آخر، فأين ممكن أن تكون قد اختفت الورقة «شو انشقت الأرض وبلعتها؟!»

المنزل كله ثلاث غرف ومن المؤكد أنها ليست في غرفة والديّ، فكيف يكون ذلك وأنا أساساً لا أدخل هذه الغرفة ولا أرغب حتى أن أفعل، فهي دائماً مظلمة كأنها قبو.

دخلت غرفتي ومددت يدي لأشعل الضوء، فما كان من سوء حظي إلاّ أن كان المصباح معطّلاً - اللمبة عندنا -، عندئذ قلت في نفسي «يللي ما إلو حظ لا يتعب ولا يشقى» اف.. اف.. وقررت أن أبحث عن الورقة على ضوء الشمعة لأنه ليس بالوقت المناسب تغيير المصباح.

جلبت الشمعة من المطبخ الذي لا يتسع لأكثر من شخصين يقفان فيه بقدر ما هو صغير الحجم، وعندما خرجت من باب المطبخ تعثرت قدماي كالعادة بالسجادة التي أصبحت في سن التقاعد وهَرِمَت ووالدتي لا تنفك متعلقة بها، فهي هدية من والدها.. وكأن جدي ما زال يذكر أنه أهداها هذه السجادة أصلاً..

عدت إلى الغرفة وأنا أبكي مما يحصل معي من عثرات، وبدأت أبحث عن الورقة في جيبة الجاكيت - بين الأوراق - في دُرَف الخزانة.. لكن كما العادة أفقد الأمل سريعاً وأشعر بالملل، ولكي لا أتعِب نفسي بالبحث طويلاً قررت أن أتكلم مع قاسم وأسأله إن كنت أستطيع الحصول على نسخة ثانية.

لم يكن أمامي سوى التنازل كعادتي للأستاذ قاسم محاولةً أن أكلمه على هاتفه - الذي يشبه الجريح المصاب في الحرب بقدر ما هو قديم ولا يجرؤ على تغييره خوفاً من دفع الأموال - علّه يرد عليّ بطريقة مهذّبة ولائقة، وأن لا يعاملني وكأني طالبة في الصف لديه أو أن يغضب بسرعة كما أعرفه.

.. اهدئي.. اهدئي يا بتول، وامسحي دموعك كي لا يشعر من خلال اتصالك أنك تبكين، لأنه حينئذ سوف يتكلم معك بطريقة غير لائقة ويقول لك تبكين كالبومة. إي طبعاً فهذه كلمته المشهورة كلما كنت أبكي عندما يؤذيني بالكلام أو يضربني بيديه اللتين هما أقسى من الصخر.

عندها جلبت الهاتف لكي أتصل به، وفي حين كنت أمسح دموعي بالمنديل عن وجهي، وإذ بي أصرخ «آي..» ما هذا، وعندما نظرت لأرى ما الذي أوجعني وإذ بي أجد أن هذا المنديل ما هو إلا ورقة طلاقي التي أبحث عنها.

بين الذنب والصواب

غنى الرباعي

طرقت بابها عِند المغيب ثمّ انتظرت هنيهة، وكنت أحمد الله أنّ خالي كان غائباً عن المنزل ذلك اليوم. لم أشعر بالحيرة في حياتي كما شعرت يومها. كنت في شِدّة الحزن، ولكنّي لم أكن خائفة ممّا فعلت، فضميري لم يؤنّبني، ومنطقي لم يعارضني، ولكن النتيجة كانت سيّئة.. بل مُفجِعة.

لا شكّ أنّه قد أخطأ، ولكن هل أخطأت أنا أيضاً؟ هل كان عليّ أن أردع نفسي عمّا فعلت لأتجنّب الكارثة؟ أم أنّ ما رايتُه في حينها صواباً كان فعلاً صواباً؟ إنّ الأمر الوحيد الذي كنت متيقّنة منه هو أنّني لو كنت تأنّيت أو تراجعت لندمت طوال حياتي، فكان لا بدّ أن أتصرّف في اللّحظة المناسبة. ولكنّي ما زِلت أرى أنّ النتيجة كانت مُفجِعة.

«من الطارِق؟»

في أوقات الحيرة والضعف إلى من عساي ألجأ إلاّ إلى نبع الحنان جدّتي، ذات السبعين سنة من الحكمة، والناصحة الموثوقة. ولكن هذه المرّة الأمر مُختلف.. هذه المرّة حتّى جدّتي لن تتقبّلني. فغيّرت رأيي، وقرّرت أن أهرب من أمام بابها بسرعة، ولكنّها كانت أسرع منّي وفتحت الباب قبل أن تسمع جواباً. لعلّ قلبها كان قد أحسّ بحاجة الواقفة خلف الباب.

«تمارا؟». لم أعرف كيف أُجيبها. لا بدّ أنّ حزني كان قد أرهق وجهي. «صغيرتي ما بك؟ أدخلي. ماذا حصل؟ لما أنتِ على هذه الحال؟»

«جدّتي..» ولم تنتظر مدامعي منّي الإذن لتنهمِر، ولحقها شهاقي، فمجرّد رؤيتها تُعيدني طفلة.

«ماذا حصل؟ هل أصيب أحد بمكروه؟» سألتني وهي تحضنني وتضع رأسي على كتفها.

«الكلّ في المنزِل بخير» كان يجب أن أغلِب عجز صوتي وأطمئنها لكي لا يرتفِع ضغط دمها.

أغلقَت الباب بسرعة ثمّ جرّتني من يدي إلى غرفة الجلوس وأقعدتني على كنبتها الخاصّة وأمسكَتني من يدي التي كانت ترتجف أكثر من يدها هذه المرّة، «هوّني عليكِ، ما من مشكلة إلاّ وحلّها موجود». ولكن ما الحلّ هذه المرّة؟ من أعاقب وأنا لا أرى نفسي إلاّ بريئة. بريئة تخاف من الاعتراف بالحقيقة. هل يمرّ الأمر برُخص ودون عقاب.. أم أنّ المُذنِب قد عوقِب، وما تبع ذلك من مآسٍ إنّما هو عواقب أفعالهِ؟ وهل كان يستحِقّ منّي هذا العقاب؟

لم أستطع أن أتوقّف عن البكاء لأنّ بكائي استحضر في ذاكرتي هول كلّ ما رأيت في ذلك اليوم المشؤوم. وجدّتي المسكينة احتارت لأمري لأنّها لم ترني كذلك من قبل، فأنا تمارا القويّة التي اعتادت على الصبر والتحمّل في المشاكل العائليّة، وكنت دائماً السند القويّ لإخوتي الصغار في حياتهم الدراسية والاجتماعية وخصوصاً عند طلاق والدَيّ. كما أنّني الطالبة الجامعيّة المُجدّة التي تعمل في شركة المفروشات في النهار وتتحمّل شكاوى الزبائن والموظّفين لكي تؤمّن أقساط دراستها في المساء. ومن يكون أقوى من طالبة طب في جراحة القلب قد عاينت عمليّات جراحيّة وقلبها الحديدي لم يضعف أمام قلوب الناس التي تتكشّف؟

تناولتْ منديلاً ثمّ أقبلتْ إليّ وانحنت تحاول أن تمسح دموعي وأنا أكفكف الدموع وهي تزداد تدفّقاً، «عزيزٌ عليّ أن أرى هذه الدموع». ثمّ احتضنت رأسي في صدرها

وأخذت تمسحه من الخلف، «ها أنتِ معي الآن، فهدّئي من روعك وأخبريني ما الذي يبكيك هكذا، لقد كسرتِ قلبي بحالكِ هذا». فما كان منّي إلاّ أن واصلت البكاء رغماً عنّي وشعرت بالندم لمجيئي إليها وإقلاقها عليّ، وهي التي يجب أن تكون دائماً محمولة على كفوف الراحة وأن يكون الجميع في خدمتها وليس أن تكون هي حاملة أعباء الجميع كما عوّدتنا.

بقيَتْ إلى جانبي تُحاول جاهدةً تسكين روعي وأنا نسيت كيف أكون غير حزينة. وأخيراً حين توقّف البكاء من شدّة إرهاق جسدي، لم يكنِ حالي يحتمل الكلام عن الأمر، ولا كنت أعرف ماذا أقول لها. أأُخبرها بما فعلتُ فأخيّب ظنّها بي وأحزنها أكثر من حزنها عليّ الآنَ، أم أختلق أمراً آخر؟ وأنا لم أكن حينها بالقدرة العقلية التي تُخوّلني أن أختلق أموراً مقنعة، فعقلي كان مشتّتاً تماماً.

«تمارا إن لم تكوني مرتاحة لتفضفضي لي عمّا في قلبك فلا تقولي شيئاً ولكن اعلمي أنّه ليس من عُسرٍ إلاّ واليُسر حتمه، وليس هناك ذنبٌ لا يُغتفر، ولا ضيقٌ لا يُفرّج، فمهما حزنتِ لا تيأسي من شيء وإن كان عظيماً. حسناً يا بُنيّتي؟»

زادت ألمي. جعلتني أتعذّب لأجلها، فهي تستحقّ أن يكون لها أفضل أحفاد، يُؤمّنون راحتها ويُشرّفونها ويرفعون رأسها فخراً، وليس أمثالي الذين لا يُجيدون التمييز بين الصواب وعكسه.

قرّرت أن أصارحها فهي ليست كغيرها. لا بدّ أن تتفهّمني أو تنصحني من غير أن تؤنّب ضميري بالعتاب. فهي الملاك المتفهّم الاستثنائي في حياتي. فأومأت لها ثمّ افتتحت كلامي بمقدّمة لخوفي من مصارحتها، «جدّتي ما حدود الفقير في هذه الدنيا؟ هل يَحلّ للفقير أن يسرق ليعيش؟ وما حدود من تُسرق أملاكه؟ هل يتغاضى إن كان السارق فقيراً مسكيناً؟»

عرفت أنّها لن تعطيني جواباً لأنّها لم تستوضح غاية أسئلتي بعد، ولكنّها لم تبدِ أي خيبة ظن، بل حافظت على أعلى مستوى من الحنّية والإنصات «أكملي يا ابنتي».

«جدّتي.. لقد قتلت إنساناً..»

لحظة صمت.. لم أنظر إليها

«.. ولا أعرف ما مدى ذنبي في هذا الأمر»

ثمّ نظرت «قتلتُه.. لم أقصِد أن يموت، ولكن قصدت أن أَشِلّ حركته فقط»

«مهما كان عظيماً، هو ليس أعظم من رحمة ربّك»

«لقد كنت أقود سيّارة بعد أن خرجت من المصرف، وكنت أضع على المقعد الأمامي الآخر إلى جانبي حقيبتي السوداء الكبيرة، وكانت تحتوي مبلغاً كبيراً من المال كنت قد ادّخرته من عملي لأسافر إلى مؤتمر أطّباء القلب في فرنسا الذي عوّلتُ عليه كثيراً لمستقبلي المهني في الخارج. وكان في الحقيبة أيضاً حاسوبي الذي كان يحتوي معظم ما حضّرته لمشروع تخرّجي الجامعي، وقرب الحقيبة نسيت نافذة السيّارة مفتوحة على وسعها، ففاجأني لصٌّ درّاج بأن سحب حقيبتي بسرعة من النافذة..» حدّقت بعينيها لأستَبين ما عساه يكون حكمها عليّ، ولكن لم أعرِف. «فما كان منّي إلاّ أن.. أدرتُ مِقوَد السيارة باتّجاهه.. وصدمته لأسترجِع حقيبتي. لقد كان فيها مستقبلي.. فقُتِل»

أردتها أن تقتنع بما اقتنع به ضميري من براءتي.

«ثمّ استرجعت حقيبتي وفررت. صادف أنّه لم يكن هناك أحد غيرنا في الموقع حين وقعت الحادثة، فلا أعتقد أنّ أحداً رأى ما حصل. وأنا كنتُ موهولة من الأمر فلم يخطر لي إلاّ الفِرار. لكنّي عدت بعد نصف ساعة لأنّني احتملت أنّه قد يكون ما زال حيّاً، وقد أتّصل بالإسعاف فأُنجِده، لأنّ صِغر سنّه وفقر مظهره عزّا عليّ، فقد بدا لي في الخامسة أو السادسة عشرة من العمر، وشعره المنكوش وملبسه أوحيا لي بأنّه فقير»

وهنا عادت الدموع لتفرض نفسها عليّ «حين رجعت إلى المكان وجدته يعجّ بالناس. معظمهم كانوا يبكون ويتأسّفون على شبابه. ودمه كان يغطّي الأرض حيث قُتِل قبل أن يُنقل بالإسعاف». بالكاد استطعت أن أنطق حروفاً صحيحة

«ميّزت أبويه من بين الباكين فقد كانا يصرخان لفقد وحيدهما.. وكأنّهما غير مصدّقين..» أوقفتني شهقة البكاء عن الكلام، وصرت أكفكف دموعي، وأخذتْ

جدّتي تطبطب على كتفي. ثمّ ختمت «أنا الآن يا جدّتي أعرِف أنّني قد أذنبت بأن لم أتّصل بالإسعاف في الوقت المناسب، ولكنّي حقّاً كنت موهولة من وقع الحادثة كلّها ولم أستطع أن أُفكّر بصواب. وأنا لا أعرف ما إذا كنت مصيبة حين صدمت اللّص أم أنّه كان عليّ أن أتركه يسرق مستقبلي مقابل عدم مخاطرتي بروحه». نظرت إليها مباشرةً لأرى ردّ فعلها، فابتسمتْ لي مُطمئِنة. «والآن يا جدّتي ماذا تحكمين عليّ؟»

أشاحت بنظرها عنّي ووقفت. سرحت تنظر إلى فضاء أفكارها والدهشة لم تفارِق عينيها اللتين كان بؤبؤاهما يتحرّكان بسرعة وكأنّها ترى المشهد أمامها ولونها انقلب إلى صفار.

في دقيقة شبه أبدية بقيت جالسة أنتظر حكم الإعدام عليّ من قِبل أكثر الناس ثقة عِندي.. شعرت وكأنّي قد خسِرتُ كلّ ثقتي بنفسي.. إلى أن نظرت إليّ أخيراً ونطقت «حبيبتي..»

ثمّ أمسكت بيدي»إنّك تأسفين على فاجعة موت شابٍّ في مقتبل العُمر، ووالدين قد فقدا وحيدهما، وأنا أأسف على ذلك أيضاً، فما من قلبٍ إنساني لا يأسف لذلك. ولكن الذنب الأساس لم يكن ذنبك، بل ذنب من بادر بالأذى. أبقي الأمر سرّاً، فإن تكلّمتِ تفضحينه بأنّه مات سارِقاً وفي سبيل إثمه وذلك سيفجع أبويه عليه أكثر فاستري عليه، وكذلك تخسرين مستقبلك. ولكن إن كنتِ قد أخطأتِ، فقد ندمتِ وفُجِعتِ كفاية وليس هناك من سبب الآن لتفجعي أكثر.

سبحان من نقلني من حالٍ إلى حال بعد أن سمعت حكمها.

في عريس

غنى رباعي

دخلتُ إلى المطبخ من بعد أن انهيت دروسي لكي أرى إن كان يوجد ما يُسلّيني في البرّاد. وجدت أمّي جالسة إلى طاولة الطعام، ساندة كوعيها على الطاولة وشابكة كفيها أمام فمِها. نظرت إليّ مبتسمة تلك الابتسامة التي تعني أنّ هناك خبريّة دسمة، وأنّها تكاد لا تحتمل أن تُخَبّئها أكثر. أنا، التي كنت مدركة تماماً معنى تلك النظرة والإبتسامة، «تقّلت حالي» واصطنعت أنّني غير مكترثة لوجود خبريّة مهمّة، أدرت وجهي عن أمّي ومشَيت خلفها إلى أن وصلت إلى حبيبي وقرّة عيني وبهجة حياتي.. البرّاد.

فتحته.. لا شيء يُؤكل. معظم ما وجدته كان من المأكولات التي تحتاج للتسخين. سامح الله أمّي.. كانت قد وعدتنا أن تحضّر حلوى «المغلي» ولم تفعل. ولم يكن على بالي أن آكل الفواكه، وخصوصاً أنّ شكل الفراولة «المتشتش» يقطع الشهيّة.

حتّى البرّاد، ذلك الحبيب الذي كنت متلهّفة إليه بكل إخلاص.. خذلني.

أمّي، بالطبع، كانت لا تزال متحمّسة للخبرية التي كانت تكافح لتتحرّر من فمها. فأحبّت أن تُثير فضولي وتكسِر كبريائي وتجعلني أسألها عن الموضوع، فَرَمت عبارة لتستدرجني لكي أسأل

«شو نجوى؟ جوعاني؟ في مرطبان مكدوس حد المجلى، جابِتلنا ياه الحجّة زينات اليوم

الصبح. إقلي بيض وكِلي مع مكدوس، كتير طيبين».

بووووم.. زلقت القنبلة. الحاجّة زينات هي أهمّ قنابل عصرِنا. في المعادلات الرياضيّة، الحاجّة زينات تُساوي = «في عريس»

«الحجّة زينات كانت عِنّا؟» وهنا بدأ كبريائي ينكسر. «إيه والله إجت عملتلي صبحيّة»

أنزلت أمّي يديها إلى الطاولة وأحنت جسدها قليلاً إلى الأمام، أي بمعنى آخر، الآن سوف تُخبرني عن الحدث العظيم. ولكنّي تداركت الوضع وعُدت و«تقّلت حالي» وبسرعة أشغلت نفسي بفتح الخزائن..

«ما بعرِف كيف إم عيلة متلها فاضية تترك كل أولادها وأحفادها الصبح كرمال صبحيّات وإشيا فاضية. أنا رح آكل كورن فليكس وحليب، أحسن شي».

وتناولت ال«كورن فليكس» وكاسة من الخزانة. ولكنّ أمّي بطلة حرب لا تتنازل في ساحة القتال، فقامت ووقفت لكي تخرج من المطبخ بحجّة أنّها تريد أن تهاتف الفرّان لتسأله عن سبب تأخّر وصول طلبية البيتزا. وأنا أعرف تماماً أنّها لم تخرج من المطبخ إلاّ لكي تجعلني أتنازل وأتبعها وأستعلِم عن الموضوع الذي كانت تريد إخباري عنه.

أنا لا أُنكِر أنّني أحببت أن أعرِف من يكون العريس، وأنّني تشوّقت أن أخبر صديقتي داليا أنّه قد تقدَّمَ لي عريس. وبدأت تتركّب في رأسي سيناريوهات عن كيفية إخبارها بالأمر، وأنّ الخبر، بالنسبة لي، عاديّ وأنا غير مهتمّة للارتباط حاليّاً، ولكن هو (العريس) لا يتوقّف عن مراسلتي ويكدح جاهداً لكي أقبل به (أياً كان يكن).

حسناً، أعترِف أنّني قد هُزِمت في هذه المرحلة من المعركة أمام أمّي، ولكنّني لم أخسر الحرب كلّها. فمشيت إلى غرفة الجلوس وكاسة الكورن فليكس في يدي، مع أنّني ما عدت جائعة بقدر ما أصبحت نهمة لكي أعرِف من يكون هذا الذي تجرّأ وقال إنّه يريدني للزواج. من يظنّ نفسه؟ آمل أن يكون وسيماً. آمل أن يُشبه «جود لو» أو «ثور».

جلست أتناول طعامي رويداً رويداً، منتظرة أن تنتهي أمّي من الصراخ على العامل

في الفرن لأنّهم نسوا أن يحضروا لنا البيتزا.

ابن من؟ كيف هو شكله؟ هل سيناسبني؟ هل سأحبّه؟ كم عمره؟ ماذا يعمل؟ ما تخصّصه؟ كيف يُفكّر؟. ركبتي كانت تهتزّ كثيراً ولم تسمح لي أن آكل بهناء، وأمّي كأنّها ما عادت تعرف أنّ للمكالمة الهاتفيّة نهاية، حتّى بتّ أشكّ أنّها تتقصّد الإطالة لكي تحاكرني.

الحاجّة زينات دبّرت أربع زيجات أعرفها، وفي مرّة أحضرت لي عريساً تبيّن أنّه من كوكب آخر، ولكن هذه المرّة أصبحت تعرف حتماً ما طلبي وكيف هو ذوقي، فأحضرت من يناسبني.

«العمى بِقلبُن، إزا الواحد ما ضل فوق راسُن يدِقّلن كل شوي، ما بيِتزكّروا يعملوا شي».

ولكن أمّي يجب أن تكون هادئة البال لكي تحكي لي عن الموضوع وتخبرني بالتفاصيل وهي مركّزة تفكيرها في موضوعنا وليس في موضوع الفرّان الذي (سامحه الله) أغضبها لِحظّي السيّئ.

«ماما ولا يهمّك، بسيطة، صحتك بالدنيا. هلّق بنُطلب أيّ شي، سندويشات أو فرّوج أو أي شي، ما كِلّو طيّب وكِلّو نعمة كريم. أصلاً الشاورما التركي أطيب من البيتزا بِكتير، وأنا هلّق بس خلّص آكل بِنزل بجيب»

«وإزا خيّك ما عجبو؟»

«هاشم قلّي إنّو بيحِب الشاورما التركي كتير»

«لأ ما بدّي تِلبسي وتِنزلي بهالشوب. وعِندِك دروس، ما بدّي تلتهي»

يا ماما خلصينا بقى لِنرجع لموضوع العريس!!! «لأ ماما ولا يهمّك، أنا شهّلِت بدروسي، وحابّي إتمشّى شوي تحت»

«دخيل قلبِك إنتِي، ما في مِتلِك، الله يسعدلي ياكي يا رب، يا قلبي إنتِي يا مُرضيّة» أيواااا»، هكذا أريدها.. فرحة ومركّزة معي وتريد من الله أن يسعدني لها (أي أن

أتزوّج بالتعبير اللبناني). ولكن المشكلة الآن هي كيف أفتح الحديث من جديد؟

«ماما قولِك المكدوس بيُطلع طيّب مع الشاورما؟ عم فكّر جرّبُن سوا».

سألتها وأنا أحاول جاهدة أن لا يكون اهتمامي بزيارة الحاجّة زينات واضحاً في عينيّ وفي تعابيرِ وجهي، ولكن يقولون أنّ لا أحد يفهم الشخص مثلما تفهمه أمّه، لأنّ أمّي نظرت إلي وضحكت ضحكة نصر شبه شامتة حين سألتها هذا السؤال، وكأنّها تقول لي «كمشتك»، والوضع كان فعلاً كأنّه «كش ملك» لأنّني خسرت حرب الكبرياء بالسؤال البريء الذي سألته.

ولكن هذا أصبح آخر همّي، فالمهمّ الآن أنّني قد فتحت الموضوع من جديد، وفي خلال نصف ساعة ان شاء الله سأكون قد عرفت كلّ التفاصيل عن الفارس الذي جنّنت عقله وحرمته من نوم الليل. على كلّ حال أنا سأفهمه أنّ لي أولويّات، ولن أكون دائماً متفرّغة لأكلّمه كلّما اشتاق لي. فبالنهاية، يجب أن يطوّل باله ويراعي أنّني لا زلت لا أشعر تجاهه كما يشعر هو تجاهي.

«إنتِ بتعرفي إنّو الحجّة زينات قليل لتجي تزور، بتعرفي، لأنّو بيتها دايماً عاجِق بالأحفاد وهيك. بس اليوم الصبح إجت خصوصي كرمال تحكيني بشي مهم» وكان الدخان الأبيض في طريقه إلى الصعود، وإذ..

«قال في عريس مليونير، مغترب ساكن بإطاليا إجا لبنت خالتِك فدوى»

قال ناويين يعملو العرس هونيك وكِلنا رح نروح، ورح يعزمنا شي جمعتين نقاهة هونيك كمان. شفتي؟ قِلتلّك الله بيفرجها وان شا الله ما رح نقضّي الصيفية كالها بالضيعة هالمرّة كمان. شِفتي يلّي بيتّكِل على الله وما بِنقّ كيف بتُفرَج معو؟»

أأبكي؟! أأنتف نفسي؟ أأكسِر كاسة الكورن فليكس والحليب على الأرض؟

تماماً كما في صغري حين كنت أفتح هديّة عيد ميلادي بكل حماس متلهّفة لأرى اللعبة الرائعة التي ابتاعوها لي، فأجد ملابس.

هكذا.. جعلتني أبني قصوراً في رأسي ثمّ هدّمتها لي، وما عاد هناك أي شيء أخبره

لداليا، وذهب «جود لو..»

«شو بكي انصدمتي؟»

«إيطاليا؟ شو هالمفاجأة. خي، رح ننبصط».

وكأنّ إيطاليا تهمّني أصلاً. أنا لا تهمّني أوروبا كلّها إلاّ إذا زرتها في شهر العسل مع سعيد الحظّ.

تائهة في حجابٍ رمادي

غنى رباعي

كان الحديث يسير بشكل سلس ومريح. أفكارهما متشابهة وكَلامهما أشبه بالتّلقائي لِبَساطته. كانا ينظران إلى الصور ويُعلّقان عليها، لكنّه فجأة قال عبارة غيّرت مزاج الجلسة بالنسبة إليها.

«إنتِ حِلوة»..سكتت. ساد الصمت للحظة. نظر إليها مُتَحرّقاً ليعرِف ردّة فعلها، وهي سرحت في وجهه فحسب، من غير إظهار أي ردّة فعل على ملامح وجهها. لا تبسُّم ولا خجل أو حتّى عبوس أو صدمة.. مجرّد شرود.

هذه العبارة التي أحدثت هدوءًا أشبه بهدوء الأموات أحدثت لها في الحقيقة ضجّة في رأسها سرقت كلّ انتباهها. وهو لم يعرِف ممّا سبّبته عبارته إلاّ وجهها الجامِد.

«حِلوة».. صدى الكلمة كان يبحث في قاموس ذكرياته، لكنّه لم يجد تعريفاً صريحاً للكلمة رُغم بساطتها.

لم تفهم ماذا قال. كأنّه تكلّم بالصينية. في لحظة، عاد معها مفهومها للكلمة إلى حين بداية وعيها على هذه الدنيا. منذ طفولتها كان الجميع يقولون لها «يا حِلوة»، «يا أمّورة» (من كلمة قمر)، «شو هالبنت الحِلوة».. تذكّرت صورة أبيها وهو يقول لها «أنا صغيرتي هيّي أحلى وحدة بالدنيا كلّها».

حينها، كانت تعرِف تماماً ما تعنيه كلمة «حِلوة»، لأنّ معناها كان بسيطاً وسهلاً جدّاً

وأوضح من أن يُفسَّر. أصبح عُمرُها تسع سنوات، فطُلب منها أن ترتدي الحجاب. سألت عن السبب، فقيل لها «بتصيري أحلى». جربّت الحجاب أوّل مرّة أمام المرآة، لم تجد نفسها أبداً «أحلى». لقد غطّى جمالها كثيراً.

منذ أن عرفتهم وهم يتغزلون بخصل شعرها الجميلة وبفساتينها، فماذا حدث؟. ماذا حدث حتّى أصبحوا يرون أنّها لو غطّت شعرها وكامل ذراعيها وجسدها ستصبح أجمل؟

كانت تقول في نفسها إنّه إذا كانت المسألة مسألةَ ذوق، فالأمر يعنيني وحدي، وأنا لا أرى نفسي أجمل بالحجاب. وإن هم رأوا أنّ الحجاب يُجَمِّل فليتحجّبوا هم ويذروني لخياري. ولكن في النهاية تحجّبت لأنّ الحجاب واجب مثل الصلاة والصيام، وقيل لها إنّ الله لن يرضى عنها ما لم تتحجّب، فعزّ عليها الأمر فتحجّبت، ولكن لم تفهم العبرة منه.

هنا بدأ يتشتت مفهومها لكلمة «حلوة»، فمحيطها بدأ يتعامل مع الكلمة بشكل غير الذي اعتادت عليه.

صارت تكبر شيئاً فشيئاً وبقيت تميل إلى التجمُّل، فأحياناً تتكحّل وتضع أحمر الشفاه للخروج من المنزل، ولا تختار في ملابسها إلاّ الألوان «المضيئة» كما سمّتها صديقاتها اللاتي كُنّ مثلها.

مع أنّها لم تتقصّد أن تلفت بجمالها فئة محدّدة من الناس. في سنّ الرابعة عشرة، تعرّضت لأوّل «لطشات» في الشارع. «يا حلو، في منّك ع جلو». و«ما كنت أعرف إنّو البقلاوة بتمشي».. ومن أشباه هذه التعابير التي كان جمالها هو حتماً المقصود منه.

ولكن المشكلة كانت أنّ هؤلاء الناس الذين عبّروا عن جمالها وهم لا يعرفونها ولا يهمّهم أمرها فعلاً، حتماً لم يقصدوا أنّها جميلة بالمعنى الحنون للكلمة، الذي تربّت على فهمه منذ صغرها. وبالتأكيد لم يكونوا يمدحون حجابها الذي سُمّي لها مُسبقاً جمالاً.

بل على العكس، كانت نبرة قلّة الاحترام جليّة في «مديحهم»، ولكن هذا كان مفهوماً

جديداً لكلمة «حلوة» زيد الى المفاهيم السابقة عندها للكلمة، وتناقض معها.

هي الفتاة كذلك.. في تلك المرحلة من العُمر ترى الحياة كما رآها آدم وحوّاء (عليهما السلام) قبل أن يأكلا التفاحة. لم يتوقّعا وجود الخداع حين خدعهما إبليس، ولذلك صدّقاه. ولم يكونا قد رأيا سوءاتهما بعد. كانا يريان الحياة ببراءة.

وهي الفتاة كذلك.. في تلك المرحلة من العمر لا تتوقّع مستوى الحقارة الذي قد يكون مسيطراً في قلوب الكثير من الناس في محيطها.

خصوصاً حين أصبحت في السادسة عشر من عمرها، وكتب لها زميلها في المدرسة رسالة قال لها فيها إنّها أجمل فتاة رآها في حياته، ففرِحت بذلك.

وهو حيناً يتغزّل بعينيها، وحيناً يكتب لها شعراً عن «شفتَيك»، وأحياناً يُعلّق على ملابسها وكم تليق بها، ويختار أيّها يحب أكثر. وهي تعتقد أنّه يقصد نوع الجمال الذي كانت تسمع عنه حين كان عمرها سبع سنين، ولكن طبعاً زاد عليها شعور العاطفة والحبّ لهذا الشخص الذي يقدّر جمالها واهتمامها بمظهرها، فكانت لا تسعها الأرض فرحاً لوجوده في حياتها.

إلى حين أن بدأ يكشف لها عن نواياه الحقيقية شيئاً فشيئاً. فمرّة يُمسك بيدها رغم أنّها محجّبة، بحجّة انّهما يحبّان بعضهما بعضاً «فما في مشكلة»، ومرّة ومرّة ومرّة.. حتّى صارت تتزايد صلاحيّات المحبوب وحقوقه عليها.

هي كانت تحبّه، ولكن لم تكن قد فقدت عقلها، فتداركت الأمر بسرعة وأحسّت بنواياه الملوّثة التي كانت جديدة عليها.

لم تكن النوايا بحد ذاتها هي الجديدة، بل أن يقوم شخص بتلبيس هذه النوايا الحقيرة بتلك الصورة الجميلة والمُحبّة والاهتمام الزائف، تماماً مثلما استخدم إبليس وسائل الإقناع مع آدم وحوّاء (عليهما السلام).

وحين بدأت ترسم لمحبوبها حدوداً وقوانين جديدة، لم تعد تليق به، فخلع قناعه وكسر قلبها، بالأخصّ حين قال إنّه أصلاً ما عاد يراها جميلة وإنّها لو أزالت «البويا»

عن وجهها تصبح مثل الأستاذ فِراس.

هي كانت تعرِف أنّه يراها جميلة، ولكن لم تكن تعرِف أنّه أحبّها من أجل ذلك فقط، وهذا ما كسر قلبها. بعد تلك المرحلة، من تجربتها وتجارِب بعض أترابها، تكشّف لها الكثير من الحقائق، وفهمت العِبرة من الحجاب، وانتبهت أنّ عليها أن تزيد مستوى حجابها وتُقلّل نسبة التزيُّن.

ولكن استجدّت في قلبها ملامة للناس الأقرب في محيطها. يا تُرى لمَ هذا الكذِب؟ هل اعتقدوا أنّ ابنة التسع سنوات كانت غبيّة أوغليظة الفِهم؟ ألم ينتبهوا أنّها لو كانت فِعلاً غبيّة ما كان وجبت عليها مسؤولية التكليف الشرعي من صلاة وصيام وحِجاب في ذلك السنّ؟

هل ردّدوا أنّ العِلم في الصغر كالنقش على حجر ونسوا أن يطبّقوه عليها؟ لمَ علّموها أنّ الحجاب يجعلها أجمل فكبرت وهي تسعى للتجمّل أكثر، بدل أن يكونوا صادقين معها في مفهوم العِفّة بما يناسب سِنّها، فتتكرّس عِندها هذه القيمة وترافقها وتتطوّر معها في مراحل عمرها اللاحقة؟ لكانت فهمت مقصد «اللطّيشين» والخدّاعين قبل أن يُكسَر قلبها.

ولكنّها الآن تجلس وابن جيرانها جالِسٌ أمامها، كان يُحدّثها عن صور خطبة أخته، وأنّها «طالعة كتير حِلوة بالصور، وأصلاً إنتِ دايماً حِلوة». أما هي، التي لم يمض بعد على خروجها من عِلاقة عاطفية فاشلة وقت طويل، فسرحت في وجهه ولم تفهم. فهو ابن الجيران الذي تربّت معه منذ صغرها، أي أنّه بمثابة أخيها، ولكنّه ليس بالفعل أخاها ولم يقُل لها إنّها «حِلوة» أو يُعلّق على شكلها من قبل.

فماذا قصد؟ لم تفهم ماذا قال.

شوارب ليندا

رنا منصور

تستيقظ ليندا باكراً كعادتها كلّ صباح، تغسل وجهها، تسرّح شعرها الأشقر الطّويل بسرعة، وتهيّئ ولديها عبّاس ومحمّد للذّهاب إلى المدرسة.

أمّا حسن وحسين فلا يزالان صغيرين ويبقيان معها في المنزل.

ما إن يصعد عبّاس ومحمّد إلى الباص حتّى تطمئنّ ليندا... الآن فقط يمكنها أن تشرب كوباً من النّسكافيه. تتذكّر كلمات جدّتها: الأمومة تحتاجُ صبراً كثيراً...

تدير ليندا الرّاديو. تسمع صوت فيروز يصدح: بحبّك يا لبنان يا وطني بحبّك...

تقفل الرّاديو على الفور، لقد أصبحت تكره كل ما يذكّرها بلبنان، وكأنّها تخشى أن يباغتها الحنين إلى والديها وإخوتها... إلى منزلهم القرويّ العتيق في ميس الجبل، مسرح طفولتها... منذ هاجرت إلى دبي مع زوجها علي لم تزر لبنان إلّا مرّاتٍ قليلة أثناء العطل الرّسميّة.

لم تتزوّج ليندا بدافع الحبّ بل كان زواجها تقليديّاً مدبّراً من خالتها. لقد كانت في السّادسة عشر من عمرها حينها وعلي في الثّانية والثّلاثين.

كان علي يبحث عن عروس - طفلة بلا ماضٍ، ليس عليها أن تقبل بماضيه فحسب بل أن تشكره لأنّه اختارها هي من بين كثيراتٍ. وكان له ما أراد.

أجبرها على أن تتحجّب بحجّة أنّها جوهرة يجب الحفاظ عليها وأنّها بحجابها ستكون

كالملكة لكنّ ليندا لم تشعر يوماً انّها ملكة بل كانت أقرب إلى جارية.

عندما تنظرُ في المرآة وهي بالحجاب ترى أنّها فقدت الكثير من أنوثتها وجمالها...

يوميّات ليندا تتراوح بين الطّبخ والغسيل وتنظيف وترتيب المنزل والاعتناء بأولادها الأربعة الّذين ملأوا حياتها بالكامل.

تطعمهم وتلبسهم وتحمّمهم وتسرّح لهم شعرهم وتلاعبهم وتحكي لهم القصص.

كان علي فخوراً جدّاً بإنجابه أربعة ذكور، هو الرّجل التّقليدي الّذي لا يعرف من الإسلام سوى الحديث النّبوي: «تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنّي مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»...

لكنّه سرعان ما بدأ يملّ من حياته الزّوجيّة...

أصبح صعب المزاج وعصبيّاً، وبدأ يغيب عن المنزل كثيراً ولا يعود إلّا في ساعات الصّباح الأولى...

لم تعد ليندا سعيدة» معه لكنّها كانت تخشى كلمة «مطلّقة»...

فبدأت تغرق شيئاً فشيئاً في دوّامة من الكآبة، أهملت بيتها وأولادها ونفسها... صارت تأكل بشراهة فازداد وزنها، كرهت جسدها لدرجة أنّها لم تعد تسرّح شعرها بل تتركه ملفوفا» بمنديل، وتبقى طوال النّهار في قميص النّوم... لم تعد حتّى تنزع الوبر من فوق شفتيها لدرجة أنّ ابنها البكر عبّاس ذا السّنوات التّسع قال لها ذات مرّة:

- ماما أصبح لديكِ شوارب!

كانت تائهة تشعر أنّها موظّفة بلا راتب...

لسنواتٍ تطهو لعلي أشهى الطّعام ولم يشكرها يوماً ولو بكلمةٍ واحدة...

لسنواتٍ يقف إلى جانب أمّه ضدّها حين تتشاجران حتى لو عرف أنّها على حق...

لسنواتٍ يسهر مع أصدقائه في المطاعم والمقاهي ويتركها في المنزل مع أولادها الأربعة... وكانت تعلم أنّه يخونها مع كثيرات لكن لا تعرف ماذا تفعل.

هل تتجاهل الأمر حتى لا تشتّت شمل الأسرة كما نصحها والدها، أم تواجهه كما نصحتها والدتها كي لا يعتقد أنّها غبيّة فيتمادى في غيّه؟

عندما قرّرت المواجهة ما كان منه إلّا أن صرخ في وجهها:

- اتركيني وشأني أريد أن أعيش حياتي!

سألته ببراءة:

- ألا تحبّني؟

فأجابها بتقريرية:

- هل أنتِ غبيّة؟ كيف تريدينني أن أحبّ امرأة ذات «شوارب»؟

ثلاثة انفجارات

رنا منصور

كعادتها كلّ يوم، ترتشف مايا قهوتها الصّباحيّة من فنجانها الزّهريّ المزخرف الّذي أهدته لها جارتها سعاد المهاجرة مثلها.

تعشق مايا رائحة القهوة الّتي تتسلّل بهدوءٍ إلى أنفها فتشعرها بالانتعاش.

تمرُّ في بالها كلمات محمود درويش: لا أريد من الأيّام كلّها غير رائحة القهوة... رائحة القهوة لأتماسك... لأقف على قدميّ... لأتحوّل من زاحفٍ إلى كائن... لأوقف حصّتي من هذا الفجر على قدميه...

تشير السّاعة الفضّيّة في يدها إلى الثّامنة والنّصف صباحاً.

لقد ذهب أولادها الثّلاثة إلى المدرسة منذ ساعة، وها هو زوجها أحمد يرتدي ملابسه استعداداً للذّهاب إلى عمله في إحدى شركات المحاسبة.

تنظرُ مايا إلى الزّهور المتنوّعة الألوان الّتي زرعتها بعناية على شرفتها بينما يداعب الهواء خصلات شعرها الأسود النّاعم... وإذ بهاتفها المحمول يرنّ...

إنّها نادين صديقة الطّفولة وزميلة الدّراسة، صلة الوصل الوحيدة بين مايا ولبنان... لا تزال نادين ثرثارة كما في السّابق فهي عندما تبدأ بالحديث قد تستمرّ إلى ما لا نهاية، لكنّ مايا تعشقها وتعشق ثرثرتها...

تعيش نادين بمفردها في بيروت، وهي صحافيّة لامعة في جريدة السّفير.

تجمع المرأتان ذكرياتٌ كثيرة فرحة وحزينة، ونجاحٌ وفشل، ومغامرات لا تُحصى أيّام الطّفولة والمراهقة... هما تتحدّثان يوميّا» عن كلّ شيءٍ بكلّ شفافيّة... كلٌّ منهما تعرف تفاصيل حياة الأخرى وأخبار بلدها...

تخبر نادين مايا بأنّ انفجارين وقعا بالأمس في منطقة برج البراجنة في الضّاحية الجنوبية لبيروت، وأسفرا عن واحدٍ وأربعين شهيداً ومئات الجرحى، وقد أعلن رئيس الحكومة تمّام سلام أنّ اليوم هو يوم حداد عام في لبنان.

لم يعن الموضوع شيئاً لمايا... فهي هاجرت بعد موت والديها، منذ أكثر من عشرين عاماً إلى فرنسا حيث تعرّفت إلى أحمد وتزوّجته وأنجبت أولادها الثّلاثة...

لقد بدأت حياةً جديدةً مع عائلتها الصّغيرة... صحيح انّها تشعر أحياناً ببعض الحنين والشّوق لوطنها الأمّ لكنّها قرّرت أن لا تنظر إلى الوراء أبداً...

بعد ساعاتٍ تقع في باريس سلسلة هجمات إرهابيّة: إطلاقُ نار جماعيّ وتفجيرات انتحاريّة واحتجاز رهائن، والحصيلة مئاتٌ من الشّهداء والجرحى...

ينتاب مايا خوفٌ شديد، تتسارع نبضات قلبها وتشعر بضيقٍ في التّنفّس...

تمسك هاتفها المحمول بيدين مرتعشتين... ترتبك وكأنّها فقدت مقدرتها على التّركيز للحظات... بمن تتّصل أوّلاً؟... هي تريد الاطمئنان على الجميع: على زوجها أحمد وأولادها وجارتها سعاد وأصدقائها...

تريد أن تتكلّم مع نادين وتخبرها بأنّها عاشت اليوم في باريس ما عاشته هي أوّل أمس في بيروت... تحتاجُ مايا الآن إلى ثرثرة نادين أكثر من أيّ وقتٍ مضى...

بعد الظّهر يصل الأولاد الثّلاثة إلى البيت عائدين من المدرسة...

ليال ولينا التّوأمان ذواتا الأربعة عشر عاماً، تدخلان مباشرةً إلى غرفة الطّعام - مكانهما المفضّل - حيث تأكلان وتتحدّثان عن مستجدّات اليوم...

أمّا هادي الصّغير ابن السّنوات السّبع فيقف عند المدخل وينظرُ إلى مايا بغضبٍ قائلاً:

- زميلي فرانسوا قال لي بأنّني قبيحٌ مثل الضّفدع فضحك كلّ التّلاميذ في الملعب من كلامه، لذلك سأشتري حزاماً ناسفاً وأفجّر المدرسة غداً! أخبريني أين تُباع الأحزمة النّاسفة؟

وقعت كلمات هادي كالصّاعقة على رأس مايا فلم تعرف بماذا تجيب وهي تنظر بدهشةٍ إلى عينيه السّوداوين الصّغيرتين المليئتين حقدا»...

فكرّر هادي سؤاله بصوتٍ أعلى هذه المرّة:

- ماما أجيبي أين تُباع الأحزمة النّاسفة؟

جلال وفيكتوريا

رنا منصور

قدِمَ جلال إلى اليونان بطريقةٍ غير شرعيّة على متن قاربٍ مطّاطيّ صغير، حالماً بمعيشةٍ أفضل بعدَ ما عاناه في بلده سوريا خلال سنوات الحربِ... فمع فقدانه لوالديه نتيجة سقوط قذيفة هاون بالقرب من منزله في دمشق، تبدّدت آماله بأيّ مستقبلٍ زاهرٍ هناك.

. هو شابٌّ في السّابعة والعشرين من عمره، أسمر، طويل القامة، مفتول العضلات، أسود الشّعر، عيناه السّوداوان تلمعان دهاء»...

عندما وصل إلى جزيرة سيمي اليونانيّة خضع للتّحقيق، والتُقطت له الصّور، ومهر بصمته على ورقة تُسمّى « الخارطة « تُعطى لكلّ مهاجرٍ غير شرعي، تخوّله الإقامة هناك لستّة أشهر...

رغم أنّ جلال يحمل شهادة» جامعيّة في الكيمياء ويتكلّم الانكليزيّة بطلاقة إلّا أنّه اشتغل في جلي الصّحون في فندق أناستازيا!

وكان بعد عمله يجلس في مقهى إيفا، يشرب الشّاي ويتحدّث مع رفاقه المهاجرين مثله... يخبرهم كيف أنه سيحصل على جنسيّة أوروبّية في وقت قريب جداً وقبل أيٍّ منهم، وذلك عن طريق زواجه من فتاةٍ أوروبيّة، وكيف سيطلّقها حالما يغيّر حياته ويستطيع السّفر بحريّة إلى أيّ بلدٍ أوروبي...

وفجأة» انقطعت أخبار جلال لأيّام، وهاتفه المحمول مقفلٌ طوال الوقت...

قلقَ رفاقه عليه - خصوصاً سمير الّذي تربطه به صلة قرابة بعيدة - واعتقدوا بأنّ مكروهاً أصابه.

وبينما هم كعادتهم يتسامرون في مقهى إيفا، أتى جلال ووجهه يشعّ فرحاً.

عندما جلس كانت أوّل جملة نطق بها:

- باركولي يا شباب!

- مبروك... بس على شو؟

- قريباً رح صير ألماني!

فانفجروا ضاحكين غير مصدّقين...

فأقسم لهم أنّه تعرّف الى فتاة ألمانيّة سائحة اسمها فيكتوريا على شاطىء جيالوس، واتّفقا على الزّواج... وحتّى يصدّقوه اتّصل بها وطلب منها أن تأتي في الحال.

وبعد نصف ساعة أتت فتاة أحلامه وزوجته المستقبليّة، وكان رفاقه يتصوّرون أنّها شقراء جميلة ذات قوام ممشوق ولكن عندما أتت... كانت صدمتهم كبيرة!

كانت فتاةً ضخمةً لا يقلّ عمرها عن الخامسة والثلاثين عاماً، متوسّطة القامة، وزنها يفوق المئة والخمسين كيلوغراماً... عيناها صغيرتان لدرجة أنّ النّاظر إليهما بالكاد يرى لونهما الأزرق... أنفها عريض... فمها كبيرٌ جدّاً بحيث انّها وضعت أحمر الشّفاه على شكل دائرة حتى تقوم بتصغيره فبدت كالمهرّج... ليس لها رقبة وكأنّ رأسها غارقٌ بين كتفيها... كانت تتمايل في مشيتها بسبب السّمنة المفرطة...

لم يسعهم القول إلّا:

- لا حول ولا قوّة إلّا بالله. الله يعينك يا جلال!

عندما ذهبت فيكتوريا سأل سمير جلال إن كان ينوي فعلاً الزّواج من هذه المرأة أم انّه يمازحهم، فأخبره جلال أنّ فيكتوريا غير مرغوب فيها في مجتمعها بسبب

بشاعتها... وبأنّها ستساعده رغم علمها أنّه لا يكنّ لها أيّة مشاعر بل يسعى فقط لأخذ إقامة شرعيّة في أوروبا... وهو لن يترك هذه الفرصة تفلت من بين يديه!

لم يصدّق سمير ما سمعته أذناه، وقال لجلال بأنّ هذه الفتاة لا يمكن أن تقبل به وهي تعلم أنّه لا يحبّها وبأنّها تتسلّى بالتّأكيد وستغادر إلى ألمانيا حينما تنتهي إجازتها في اليونان...

لم تصدُق توقّعات سمير إذ تزوّج جلال من فيكتوريا وقامت بأخذه إلى ألمانيا بعد مكوثه ستّة أشهر في اليونان، وانقطعت أخباره ثانيةً...

ثمّ بعد ثلاث سنوات جاء إلى جزيرة سيمي في رحلةٍ سياحيّة...

التقى بأصدقائه القدامى مجدّداً في مقهى إيفا...

سألوه عن أخباره وإن كان طلّق زوجته كما كان ينوي منذ بداية تعارفهما...

ففاجأهم جلال بقوله انّه لم يكن ليتصوّر أبدا» أنّه سيحبّ هذه المرأة كثيراً...

لقد تعلّق بها رغم منظرها القبيح، لأنّها كانت له زوجة» مثاليّة تلبّي كلّ احتياجاته...

وفّرت له فيكتوريا الحبّ والرّاحة والأمان الذي كان يفتقده بعد موت والديه وهروبه من الحرب في بلده سوريا...

إنّها امرأة بسيطة وصادقة، طيّبة وحلوة اللّسان، تشاركه اهتماماته، وتحترمه...

وقد أنجبا فتاةً أطلقا عليها اسم شام!

الرسائل اللوزيّة

حسين عمّار

في 30 آب من العام 2005* وبينما كان العجوز الهادئ جالساً مع زوجته يشرب الشاي بعد الغداء، رنّ هاتفه الجوّال الذي كان محمّد قد أرسله منذ عامين. كان الرقم المتصل يبدأ بنفس رقم محمّد ولم يكن الرقم ذاته، أجاب وردّ على تحيّة المتّصل العربيّ، لكنّه لم يتكلّم بشيءٍ بعدها. وحين أنهى الاتّصال قام إلى ملحق الحديقة وتناول فأساً ثم مضى مترنّحاً إليها وبدأ يضرب قامتها. ولمّا لم يستطع قطعها، بدأ يضرب أغصانها، فحطّم الكثير منها، وزوجته واقفةٌ خلفه تصرخ به دون أن تعي أجُنّ الرجل أو ما الذي سمعه...

موطنها الأصلي كسائر أبناء جنسها بلاد الشام وتركيا، حتى وإن حُملت لتُزرع في أقصى الأرض حيث يتنفس «محمد عاطف اسماعيل» فهي لن تُخرج جوهر ثمرتها وخلاصة زيتها كما ستُخرجه لو أنها زُرعت هنا. هذا ما يؤمن به أبو محمّد ويعتبره أبرز القواسم المشتركة بينها وبين الإنسان!

إنّها أميرة الفناء الخلفيّ لمنزل «عاطف». شجرةُ لوز ذاتِ أربعِ شُعب، كان قد زرعها ذَكرُه الوحيد في صغره، والذي سافر بدوره إلى فلوريدا باحثاً عَن مستقبله الهانئ دون أن يشهد اكتمال الشيب في رأس أبيه. تحظى هذه الشجرة بعناية خاصة من العجوز، فهي بكلّ متر من أمتارها الثلاثة تختزن شيئاً من عَرَقه ونظراته الخالية مِن أي يأس. والشقوق والأخاديد البارزة على قشور جذعها نمت على قسمات وجهه السمراء

المتجعّدة. كان لها النصيب الأكبر من يومه دوناً عن سائر مزروعات الحديقة المستطيلة المرسومة بإتقان، من النعناع والملوخية في الأحواض التي تستقبلك عند بوابة الحقل، مروراً بشتلات الطماطم والحرّ التي يفصل بينها الممرّ الحجري في وسط الحديقة، انتهاءً بأشجار التين والزيتون والحامض.

خارجاً إليها بشرواله الأسود الشاميّ وقميصه المخطّط - مهما اختلفت ألوانه - وفوق رأسه «حطّة» بيضاء قد عقد طرفيها إلى «عقال» أسود توّج به هامته العربيّة الريفيّة. يشرع بسقايتها وتقليم أفنادها، يُحدّثها تارةً بأسراره ويربّت على جذعها تارةً أخرى وتراه يهمس بين أوراقها مواسياً نفسه:

- لا تقلقي، سيعود حتماً ليأكل من ثمارك ويستخرج زيتك..

فتُجيبه وديعة أبناء المهجر مستجلبةً هواء جبل عامل يداعب أطرافها العالية، فيتلقّى الرجل بيديه إحدى ثلاث: ورقة صفراء أو زهرة قرنفلية أو لوزة خضراء...

يأخذ الرجل الهديّة ويضعها في جيبه، ثم يدخل غرفة نومه المشرفة من نافذتها على شجرة اللوز العتيدة، يسحب صندوقاً - صاغه من خشبها - من الرفّ الأعلى في خزانته ويضع الهدية قرب سابقاتها فوق ورقةٍ مطويّةٍ، من أجلها كان الصندوق.

في أعوامه الفائتة، كان قد أحسّ بالشيخوخة بدأت تتسرّب إلى ذاته، دون أيّة عوارض جسديّة؛ إنّما هو شعورٌ محض. وكان على يقينٍ من أنّه سيسلّم وصيّته إلى شبله يداً بيد، فيرحل بعدها مطمئناً بأن الأمانة وصلتْ إلى من سينفّذها. فأودعها ذلك الصندوق وغطّاها ببعض الرسائل اللوزيّة وأكمل الانتظار مع رفيقته.

في عصر ذلك اليوم، حطّم من الأغصان بعدد الهدايا اللوزيّة، ثم ذهب إلى الخزانة وأخذ الصندوق وهمّ بفتحه، لكنّه توقّف وعاد به إلى الحديقة. أضرم ناراً تحت شجرة اللوز وألقاه في قلب لهيبها. جلس على التراب وشدّ أم محمّد إليه، احتضنها ووضع رأسه على رأسها وقال لها كلمتين ثم راحا يتأملان النار تأكل الصندوق وأغصان اللوز وأوراقها...

مرّ عامٌ على تلك الحادثة، بدأت بعده أخبارٌ صادمةٌ تتوارد إلى دار عاطف. أتاه أحدهم

قائلاً:

- محمّدك لم يمت!

- آه نعم، إنّه حيّ في وجدان كلّ أهل القرية، أليس كذلك يا «حَنايِن»! يجب أن تتعلّموا كيف توزّعوا عواطفكم، وفّروها لمن يستحقّها، ليس لقليل الأصل هذا...

- كلّا، أنا أقصد ذلك جدّيّاً، لقد شاهد ابني ولدك محمّد في أميركا يتجوّل مع كلبة شقراء في أحد المنتزهات، ففرح جدّاً لرؤيته حيّاً، ولمّا دنا منه ليسلّم عليه، تنكّر ابنك له ثم تابع سيره خلف كلبته الشقراء!

واتّصل به آخر من أبناء القرية المغتربين في أميركا، وفي فلوريدا تحديداً، ليخبره بأنّه استشبه بمحمّد أثناء ركوبه بالقطار السريع:

- لم أستطع التحدّث إليه لوجوده في مقطورة أخرى، إنّما شاهدته من زجاج النافذة وقد كان شارد الذهن طوال الوقت. لكنّ صحّته - والشكر لله - بدت لي جيّدة نوعاً ما.

وأخبارٌ أخرى مشابهة، كان محمّد «الغريب» محورها. حفرت هذه الأحاديث عميقاً في كبرياء عاطف وأحدثت تكسّراً وتصدّعاً في وجه محمّد المنحوت خلف عيني أبيه. لكن ما الذي فعله العجوز؟

قال البعض إنّه عزم على السفر إلى أميركا، وجزم البعض الآخر أنّه غضب على ولده واستأصله من ذاكرته، لكنّ أبا محمّد لم يتكلّم شيئاً عن الموضوع، لا لأحد، ولا للا أحد.. كلّ ذلك كان تخميناً وتحليلاً وحديث صبحيّات! أمّا ما لم يعرفه سوى من يدخل دار الرجل باستمرار، فهو أنّه اشترى منذ أسبوع شتلة لوز لمهدي وسارة ابنتي ابنته الكبرى حنان.

- هيداك ما طلع فيه خير، بقولوا ما في أعزّ من الولد إلّا ولد الولد! بلكي ولاد البنت بيطلع فيهن خير.

هذا ومحمّد يتجوّل في شوارع فلوريدا حاسباً نفسه «بروك»، إنّه يحسب نفسه كذلك

بالفعل. يبدو أنّ أحداً هناك لا يملك الوقت ليضرب يده في جيوب معطف «محمّد» القديم، والذي لم يخلعه مذ عاد للمشي بعد التعافي، ليرى صورة الزوج والزوجة العجوزين يشربان الشاي في ظلّ شجرة لوز عملاقة...

* في الثامن والعشرين من الشهر نفسه كانت ولاية فلوريدا قد شهدت كارثة طبيعية حصدت مئات الوفيات وفُقِد فيها المئات، وقد عُرفت حينها بـ «إعصار كاترينا».

السور القصير الشاهق

حسين عمّار

كان الحقل محاطاً بجدران اسمنتية عالية سوى من الجهة الملاصقة لحقل «أبو قاسم»، حيث يفصل بين الأرضين سور من الحجر الصخريّ بعلوّ قدم.

حدث ذات مساء أن خرج «مالك» ليشرب الشاي على الرّبعة (مقعد حجري عريض يغطّيه الطين) المحاذية لبوابة الحقل الصغيرة، فسمع صوت حركة ما من ناحية حقل أبو قاسم ثم لمح من خلال ضوء القمر الباهت جسماً أسود يعبر قضبان البوابة الحديدية، سمع بعدها وقع أقدام الكهل السمين وهو يصرخ لاهثاً:

- هش هش! ينعن أبوكن ولاد كلب، هالدجاجات هنّي الحيلة والفتيلة..

ثم علا صوت كلبه بالنباح المتقطّع على فترات.

تكرّر الأمر في ليالٍ لاحقة. ولمّا كانت العائلتان متخاصمتين منذ سنين، لم يبادر إلى سؤال جاره عن وضعه المستجدّ.

جلس يوماً يحدّث نفسه،

- إن استمرت تلك الحيوانات البريّة على حالها لن يبقى لدجاج أبو قاسم بقيّة وسيموت هو الآخر مع كلبه آجلاً ولسوف يشمّ القطيع المفترس رائحة دجاجنا بعدها.

لا بدّ إذن من إعلاء السور الصخريّ...

اقترب من السور وصار يتفحّص أركانه صخرةً صخرة، ثم وضع رجله اليمنى على إحدى تلك الصخور واستند إليها رافعاً نفسه ثم وضع رجله الأخرى على صخرةٍ أعلى من الأولى. وهمس في نفسه وهو في تلك الوضعية:

- سور كهذا لن يصعب عليها اجتيازه مهما علا.

عاد المشهد المألوف منذ أيّام إلى طرق أذني مالك وشدّ أبصاره وهو واقفٌ على الصخور. قفز من مكانه واجتاز حقله بعشر خطواتٍ إلى غرفة العدّة وتناول منها الجفت ذا الفوهتين والزنادين وأخذ أربع خراطيش من العلبة ثم بعشر خطواتٍ أيضاً عاد ووصل إلى السور القصير. اعتلاه وألقى نظرةً دقيقةً في أرجاء الحقل المظلم فشاهد الكلب يعدو صوب الزاوية أسفل السور الإسمنتي العالي والرجل يركض خلفه أيضاً صارخاً: «هش هششش».

تخطى السور وتبعهما فسمع حركةً على القشّ والحشائش اليابسة أسفل السور الاسمنتيّ. كان قد دكّ جفته بخرطوشتين أثناء اجتيازه الحقل فأطلقهما باتجاه الصوت. وما إن أنزل الفوهة المزدوجة وهو يهمّ بتفقّد إصاباته حتى وثب الكلب عليه وانقضّ على صدره فدفعه بكعب البارودة ثم دكّها بالخرطوشتين المتبقّيتين وصوّب نحوه.

إلّا أن الكلب انقضّ على ساق أبو قاسم هذه المرّة وأحكم أنيابه على لحمها الضئيل القاسي، ثم ارتفع الصراخ من تحت الزيتونة.

حار مالك أين يرمي الطلقتين الأخيرتين، فالكلب وقدم أبي قاسم في مرمىً واحد. اقترب وركل الكلب فأزاحه عن ساق العجوز ثم ألصق الجفت ببدن الكلب وفجّر أحشاءه وشوى أمعاءه قبل أن يعاود الهجوم.

وقف لدقائق حائراً يجهل سبب اهتياج الكلب، والعجوز جالسٌ أسفل شجرة الزيتون يتلوّى من الألم وصراخه يملأ أنحاء الحيّ المركون في طرف القرية. دنا من قنّ الدجاج فوجده مقفلاً بإحكام والشباك ليس بها خدشٌ واحد! غير أن رائحة فظيعة تفوح في الجانب الغربي من الحقل. دقّق النظر فإذا بديكٍ وأربع دجاجاتٍ ميتةٍ متعفنةٍ على

الأرض داخل القنّ العتيق.

استدار وتوجّه نحو الزاوية حيث رمى النصف الأول من ذخيرته، فلم يرَ شيئاً لظلمة المكان المحجوب تحت السور الاسمنتي. أخرج ولّاعةً وشاهد في وهج شعلتها الخفيف جروين أحدهما فوق الآخر وآخر ملقىً على ظهره والدخان ورائحة احتراق لحومهم وجلودهم تتصاعد..

- أبو قاسم، شو صاير معك يا خيي؟!

- آخ آآخ آآآآآخ

إنت قوصتني بإجري، إسّا (الآن) بفرجيك، انشالله لو بتقوصني براسي وبتقوّص حالك وبتقوّص الضيعة كلها بدّي اخطف بنتك واتجوزها...

عاد مالك إلى حقله وهو يضرب التراب بكعب الجفت قائلاً: «لا حول ولا قوة إلا بالله»...

يوسف يا فول!

حسين عمّار

كان «يوسف» دائم التنقّل بين الأحياء والزواريب، بعربته «الجرّ» البنّيّة التي تظلّلها خيمةٌ بخطوط خضراء وبيضاء، ويرتفع عليها قدران؛ واحدٌ للفول وآخر للعرانيس وبجنبهما وعاءٌ كبيرٌ فيه ترمسٌ مسلوق، ومنقل فحمٍ صغيرٌ مثبّت على الطرف الأماميّ من العربة، تتقلّب عليه العرانيس.

يقف تجواله عند أربع أو خمس محطات يوميّاً، يختارها بعينه الخبيرة الأماكن التي يكثر فيها المارّة وتكتظّ فيها الحارات. لكنّ محطّاته جميعها لم تزد عن عشر، وكان يعمد إلى المداورة بينها خلال الأيام.

لقد كان هذا دأبه إلى أن صادف «مروى». صبيّةٌ محجّبة، طولها مناسبٌ جدّاً، قوامها مرسوم مع بعض التعرّجات الضيئلة البارزة تحت ثيابها الضيّقة. ليس في يمينها خاتمٌ ولا في يسراها، وعيناها كبيرتان جذّابتان.. هكذا رآها حين رآها ذلك النهار، وقد كان في محطّته الثالثة، أي حوالي الخامسة عصراً. فجعل من توقّفه الثالث ذاك محطّته الأخيرة.

واقفاً عند مدخل المجمّع السكنيّ حيث مرّت أمامه، يقوم بعمله، حتى دون أن ينظر. لا بل على العكس، لَكأنّ كفّاه اكتسبتا مهارةً وسرعةً زائدة في تعبئة الترمس والفول وتقطيع الحامض وتقليب العرانيس على المنقل. وعينه تجول في شرفات المبنى الثالث حيث دَخَلَت.

- عمّو اعطيني كيث ترمث (كيس ترمس).

- عمى الدبب انشالله! شو شايفني قد أبوك؟ شِد همتك كَم سنة بِتْلَحّقْني!

أجاب ذلك الصبي الذي ما انفكّ يشدّه من أسفل قميصه. تناول صحناً بلاستيكياً ليضع فيه بعضاً من «الترمث» للولد فوجد الوعاء فارغاً، وكذا كان قدر الفول أيضاً. فقال للولد:

- نَفَّقنا، الله جَبَر. ما بقا في لا ترمس ولا فول، بعطيك عرنوس؟

- «عرنوث مين يا ذكي! ليش بعد في عندك؟!». أجابه الولد الذي تحوّل فجأةً إلى فتىً طويل العنق وذي نبرةٍ حادّة!..

رفع نظره فوق القدور فوجد منقل الفحم خالياً بالفعل، فشرع بتجهيز العربة ليعود إلى منزله. فالبضاعة قد بيعت كلّها، وأسرة فؤاده لم تظهر ثانيةً. شدّ المقبض إلى الوراء وقبل أن يحرفه يساراً ظهرت مروى من المدخل. تسمّر في مكانه، راح يبحث عن أي شيء يُباع، نصف عرنوس! ثلاث حبات فول! أي شيء! ولكن لا شيء...

تقدّمت ذات الشفتين الزهريتين البرّاقتين لكنّها لم تتجاوزه، إذ انحرفت يساراً ودخلت إلى المبنى الأول في المجمّع. لقد صعدت إلى بيتها.

شدّ مقبض العربة يساراً حتى صار ظاهرها باتجاه الطريق ثم انطلق عائداً إلى بيته.

عند ظهر اليوم التالي كان يقف تحت سحابة رزقه عند باب المجمّع. أعدّ يوسف من البضاعة ما يكفيه لمنتصف الليل حتى والشُراة على نفس وتيرة الأمس. كما ترك بعض الفول والعرانيس في درج العربة من باب الاحتياط.

مضت أربع ساعاتٍ ومروى لم تظهر بعد. فقال مخاطباً نفسه:

- شكلها ما بتضهر بهيدا الوقت، خلّيني أعمل جولة برجع بجي عشيّة.

وكان ذلك بالفعل، إذ عاد قُبيل الثامنة مساءً إلى الزاوية المعهودة، فوجدها جالسةً في شرفة الطابق الأول تشرب «النرجيلة» مع إحداهنّ. وكانت الفتاتان تشربان شيئاً في فنجان، لعلّه شاي أو «نيسكافيه».

انشرح صدر يوسف لهذا الحظّ، أخرج مخزون الفول والذرة وشرع بسلقها وشيّها ريثما يُباع ما تبقّى على وجه العربة. وصار يحدّث نفسه بصوتٍ لولا صراخ الأطفال وهم يلعبون بالكرة لوصل إلى آذان الجالستين على الشرفة فوقه:

- يا رب يوقع الفنجان عليي.. أو تطير جمرة وتنزل عكتفي.. يا محمّد إذا بيوقع تلفونها عالعربايا بتكون كِملت!..

وكان يُرفق كلماته بطرطقات الملقط الحديديّ في يده يحرّكه بمهارة وخفّة. فإذا بصوتها من الشرفة يداعب أذنيه:

- يا معلّم! يا أخونا..

تقصّد عدم الرد، محاولاً إخفاء اهتمامه المفرط بها، وأمهل نفسه مستمتعاً بنداءاتها «العذبة». فعادت الصبيّة وصرخت فيه وقد تدلّى نصفها من سور الشرفة:

- يا فول! إنت يا فول..

فشدّ كتفيه بحركة لا إراديّة ورفع رأسه ناحية اليمين ليرى ابتسامةً مشدودةً عريضةً على ثغرها وعيناها مزمومتان من تلك الابتسامة، ثم قالت له:

- وقّف طرطقة بهالملقط أو روح بيع غير هون! بدنا نِنْقِبِر نْأَرْغل عَرَواق!.

أكلنا كافيار

بتول رباعي

جالسة في مكاني منتظرة صديقتيّ في المطعم ومن لحظة إلى أخرى أتفقّد جوّالي لأرى كم السّاعة لأنّهما تأخّرتا كثيراً. ندين لديها عمل وجوليا في طريقها من القرية وستبقى في بيروت لمدّة أسبوع تقريباً. المشكلة أنّني جالسة في الخارج والشّمس قويّة جدّاً ونَسيت أن أضع مرهم حماية من الشّمس على وجهي ويدَيّ وأصبح لوني كالبندورة، والمطعم ممتلئ ولا أستطيع أن أغيّر مكاني.

«نجوى!»، سَمعت اسمي ورأيت إحداهما من بعيد تلوّح بيديها لي ثمّ جاءت، «عفواً تأخّرت عليكي بس كان في عجقة سير ما بتفهم أنا وجايي عطريق عين المريسة. شو وَينا جوليا؟ ما تقوليلي بيت عمّا جبروها تتغدّى قبل ما تترك من عندن، لأن إذا هيك نمنا هون اليوم وما رح تجي. أففف، بعدين ليش حجزتي برّا؟ بعدِك ما انسلقتي من القعدي تحت الشّمس؟»

هذه ندين. ندين طلّقها زوجها البَهيم وتركها تربّي ثلاثة أولاد لوحدها، وهي الآن تكره كافّة الرّجال وأهاليهم. «لِك ما كِلّ المطعم محجوز وما في غير مطارح نقعد فيها غير هون، وجوليا حكيتا هلّأ وقالتلي صارت بالدّاون تاون حد جريدة النّهار، وكانت عم بتكرِفت لَشوفير التّاكسي قَد مانو بوظة».

ندين لو نغيب عنها عصوراً حجريّة تبقى كما هي، جميلة وسمراء ولا تَشيخ، وحتّى شخصيّتها دائمة الصّبا. عندما جاء النّادل ليأخذ الطّلبات هي الّتي بادرت بالكلام

معه مباشرةً وأخبرته أنّنا بانتظار صديقةً أخرى وأخذت تتحدّث وإيّاه كأنّهما صديقان منذ 10 سنين. يا حرام مخدوع فيها الغارسون، مفكّرا كلاس.

ونزلَت المعجزة ووصلت جوليا أخيراً. ندين راحت تزغرد بصوتٍ منخض وباستهزاء عندما رأتها قادمة. الآن اكتملَت الجلسة وذهب النّادل وأصبح بمقدورنا أن نفتح أحاديثنا الشّخصيّة. لم نجتمع هكذا منذ زمن طويل ولولا مناسبة جمع الشّمل الّتي ابتكرناها فيما بيننا والّتي نقيمها بالسّنة مرّة أو مرّتَين، وفي أقصى الأحوال ثلاث مرّات، كان سيكون تواصلنا قائماً عبر الواتس آب فقط، وكانت ستبهت وتجفّ علاقتنا.

«شو سِت جوجو، بيت عمّك غدّوكي يا حلوي؟». جوليا الّتي هي أكثر مَن تفهم ما بين السّطور من بيننا نحن الثّلاث فهِمَت «اللّطشة» وصارت تضحك، «حبيباتي، اشتقتولي مش هيك؟ أصلاً بعرف إنكُن مش رح تاكلو بلايي فقرّرت إتأخّر بعد شوي عليكن، هيك بتشتاقولي أكتر». ضربتُها على كتفها لأنّه وإن كان هذا الكلام صحيحاً لَكنتُ قتلتها لأنّ معدتي تزقزق وأشعر بأنّني سأموت من الجوع.

هذا المطعم الّذي اخترناه شديد الفخامة. السّجّاد الأحمر مفروش أمام مدخل الزّجاج الّذي، والله أعلم، قد تكون جوانبه مصنوعة من ذهبٍ حقيقي، والثُّريّات منتشرة في أسقف المطعم المدروزة برسم كيوپيد ابن الإلهة فينوس، حتّى أنّ في المكان الّذي نجلس فيه بالخارج توجد أضواء معلّقة تشبه تلك الموجودة في طرقات باريس الّتي لا نراها نحن إلّا في الصّوَر، ولا يأتي إلى هذا المطعم إلّا «الأُبّهات» الّذين «تُخشخِش» جيوبهم مع كلّ خطوة يخطونها، لذلك قرّرنا أن نلبس أحلى ما في خزائننا لكي نمتزج بحشود الأغنياء حتّى نبيّن كالأغنياء لأن «صيت غنى ولا صيت فقر»، كما ونعلم أننا بحضورنا إلى هذا المكان سندفع مصروف شهرَين أو أكثر على الأكل والشّرب فقط، لكنّه ليس بالأمر المهم فنحن لا نزور مثل هذه المطاعم بالعادة.

جاءت قائمة الطّعام وبدأنا نقلّب بين صفحاتها، لكن المشكلة أنّنا كأنّنا نقرأ اللّغة

الصّينيّة، إذ إنّ كلّ وجبة مكتوبة لم تمرّ على مسامعنا من قبل ومكوّناتها ليست مكتوبة، وحتّى لفظها صعب، وسننفضح أمام النّادل إن لم نستطع أن نهجّي الكلمات بإتقان، كما وأنّه جاء في وقت غير مناسب، فنحن لم نقرّر ماذا نريد بعد. هذه المرّة ندين سكتَت ولم تفتح فمها وتُكلّم النّادل، وأخذت كلّ واحدة منّا تنظر إلى الأخرى نظرة إنتِ قوليلو إنّو بعد ما طلبنا. بنهاية المطاف على إحدانا أن تتكلّم، فجمّعت قواي وشجاعتي وبادرت بذلك، «صراحة كل شي بالمنيو طيّب فمحتارين شو بدنا نطلب. ممكن تساعِدنا؟ أعطينا رأيَك، أيّا أطيب أكلة بالمنيو بالنّسبة إلَك؟»

«مَدام، كل شي طيّب، وكمان اليوم طبق الشّيف السبيسيال هُوّي الصفَيلِح مع كافيار الألماز الإيراني وصلصة الشّيف السّرّيّة، إذا بتحبّو تجربوها».

«صفَيلِح»؟ شو «الصفَيلِح»؟

«أوكي لكن لو سمحت بدنا تلات صحون من هالطّبق».

وبعد أن جاء الطّعام وأكلناه وأحببناه وطالت جلستنا وأحاديثنا وأغربَت الشّمس، طلبنا الحساب وكلّ واحدة منّا راحت تعزم الأخريات و«الأكل عحسابي»، طبعاً كذوق فقط. ثمّ جاء الحساب وأخذته جوليا مباشرةً، وانمحت البسمة عن وجهها ومن تعابيرها بانَت وكأنّ ضغط دمها سوف يهبط.

المهمّ أنّه قد مرّ أربع ساعات من بعد استلامنا الحساب وما زلنا في المطعم.. نغسل الصّحون.

أخذتُ قراراً

بتول رباعي

أوّل ما تحبّ فعله جهان في صباحها في القرية هو أن تجلس على شُرفة منزل جدّها الصّغيرة أو تحت الدّالية وتشرب كوباً من القهوة حين يكون قليل من الضّباب يكون ما يزال مغطّياً أرض الدّار والسّماء تكون ما تزال مائلة للّون البنفسجي الفاتح مع طلوع الشّمس. خطر على بالها ذات يوم أن تغيّر مكان صحوتها، فأحبّت أن تشرب قهوتها وتتمشّى في الحقل.

في الأيّام العاديّة، كانت جهان إذا ما دخلت إلى الحقل تقوم بقطف كمٍّ قليل من الورود الموجودة في أوّل الحقل ولا تُكمل مسارها إلى الدّاخل. هذه المرّة قرّرَت أن تغوص في أعماق هذا الحقل الكبير، مع أنّها ومِن صِغرها تخاف القيام بهذا الأمر على قدر ما كان أهلها وجدّها وجدّتها يُرعبونها من فكرة أنّ «هلّأ بتُطلعلك حيّة كبيري وبتاكلك» أو «نحنا هلّأ بالصّيفيّي. بكون في كتير عقارِب، كتير خطرين، ما تقَربي صوب الحقلي!»

مَشَت المسافة القريبة المعتادة مشيها ورجلاها تحفّان بالعشب القصير الّذي تختبئ بينه شتلات الورود، ولمّا كادت أن تَصل إلى شجر السّنديان والزّيتون والتّين، الّتي كانت تراها عن بُعد فقط من صِغرها وحتّى تلك اللّحظة، بدأت تتسارع دقّات قلبها وعادت طفلةً صغيرة من الخوف، فصارت تشُدّ رجليها غصباً عنها لكي تمُرّ بين أوّل شجرتين. بسم الله بسم الله. واحَد.. تنِين.. تلاتي! أغمضت عينيها وركضت بينها

واضعةً يديها فوق رأسها، حتّى أحسّت أنّها اجتازتهما.

فتّحَت عينيها وأنزلت يديها وهي ترتجف.. وما رأته كان حلماً. أشعّة الشّمس كانت تمرّ ما بين أوراق الشّجر ويغطّي الأرض الألماس البَرّاق. تنَفّسَت.. وبرد الصّباح الّذي كان جالساً على كتفيها اختفى. هَيدي جنّة. وَضَعَت يدها اليُسرى على أوّل شجرة وقفت جنبها وانعصر قلبها من شعورها بالنّدم والذّنب، الندم لأنّها فوّتت على نفسها هذا المنظر كل السّنين الّتي مرّت، والذنب لأنّها ظلمَت ما في داخل الحقل بنظرتها إليها كعفاريت، فوَضَعَت يدها الأخرى على الشّجرة وأسنَدَت رأسها إليها «بعتذر».

ثمّ ذهبت إلى شجرة التّين الكبيرة الّتي كانت شقيقتها سلمى تحدّثها عنها في صغرهما، لأنّ سلمى كانت قويّة الشّخصيّة وكانت كالفتيان لا تخاف من «الإم أربعة وأَربعين» ولا «الأبو مقَص» وكانت تدخل إلى الحقل وتخرج منه وقتما تشاء، وعندما ترجع إلى جهان تخبرها عن كلّ ما رأت وفعلت في مغامراتها داخل الحقل.

تكَمّشَت جهان بغصن من أغصان هذه الشّجرة الصّلبة وأفلتَت رجليها وصعدت وجلست، ثمّ أكملَت صعودها إلى الأعلى رُوَيداً رُوَيداً، أعلى فأعلى فأعلى، حتّى أصبحت كافّة الأغصان الّتي تعلوها صغيرة وهَشّة وسهلة الانكسار. يا رَيتني قوّيت قلبي أنا وصغيري وإجيت لهون، كنت قدرت تعَمشأت للقمّة من دون ما ينكسرو هالأغصان الصغيري فيّي. وعندما كانت تدور هذه الأفكار في ذهنها لاحظت أنّ الغصن الّذي يعلوها قليلاً محفور عليه كلمة، فاقتربت لتقرأها ووجدت اسم شقيقتها، «سلمى». آخ منّك يا سلمى، مَنّك قَليلي.

سَحَبَت الملعقة من كوب قهوتها ومسكتها بالمقلوب وصارت تحفر اسمها تحت اسم شقيقتها، لكن في هذه اللّحظة سَرَحَت عيناها وتوقّفَتا على حفرة موجودة في شجرة السّنديان على يمينها لأنّها لَمَحَت شيئاً يتحرّك فيها. «يا الله كان لازم إبقى عالبرندة». وبسرعة البرق أطَلّ من الحفرة طائرُ بوم، فراحت جهان تضحك على المنظر وتضحك

على نفسها أيضاً لأنّها خافت. «هُووووووو». هي تعلم أنّ البوم ليس حيواناً أليفاً لكن من يستطيع أن يخاف من بوم صغير الحجم والخوف واضح في عينيه تماماً كالخوف الّذي أحسّت به جنان عندما رأته في البداية، وعلاوةً على ذلك يَغزِل برأسه ويقول «هووو»؟

نظرَت إلى ساعة يدها بعد أن شعرت أنّ الوقت قد مَرّ كالدّهر عند استلقائها على الغصن وقرّرَت الرّجوع إلى المنزل. وَضعَت يدها على أوّل غصن وما إن جاءت لتضع يدها على غصن آخر، تجمّدَت في مكانها.. ليش عم يتحرّك هَالغصن لكامشيتو؟ وبقي يتحرّك ويزحف الغصن حتّى برزَت عينان ثمّ الفَم فالأنف وأخيراً جسم الأفعى الطّويل، كما أنّها كان لديها قَرنَان صغيرَان ومدوّرَان. لكن العجيب أنّه وفي تلك الثّانية استفاقَت جنان على نفسها بأنّها ليست خائفة كثيراً من الأفعى، بل على العكس، راحَت تحلّل العيون الّتي كانت تنظر إليها محلّلةً أيضاً، وعندما أفلتت يدها عنها تعجّبَت من أنّ الأفعى لم تهاجمها وتأكلها كما كان الجميع يقول لها في صِغرها، بل تركتها في مكانها وذهبت. بهذه البساطة.

رمت بنفسها من الشّجرة وصارت تُنَفّض ورق الشّجر العالق في بنطالها، وعند رجوعها صوب المنزل وقفَت فجأة، ابتسمَت، غيّرت رأيها ومسارها، ودون أن ترجع إلى المنزل قرّرَت أن تُكمل رحلتها داخل الحقل.

ليالي الأُنس على ضوء الشّمعة

بتول رباعي

كانت الكهرباء مقطوعة ليلاً ونحن جالسين على ضَوء الشّمعة الّتي استخدمناها لنشوي «المارشمَلو» الصّغيرة بنكهة «العلكة»، الطّعمة المفضّلة لدي. «يا عمّي هَالبرغش ما بحبّو يجو إلّا لعندي»، راح يشتكي صالح ويحرّك يديه إلى جنب أذنه ليطرد البعوضة. هو عادة لا يشعر بوجود البعوضة حتّى وإن سكنت في أذنه، لكن هذه المرّة انزعج منها لأنّها لم تعطه المجال ليسمع قصص الرّعب الّتي كان يخبرنا بها أخي الكبير يوسف، الّذي يستمتع عندما يرى ملامح الخوف على وجوهنا، علاوةً على أنّه يضع رأسه على الوسادة لاحقاً وينام بكلّ راحة بال وطُمأنينة و«يا جبل ما يهزّك ريح»، أو «ما يهزّك شبح» في هذه الحالة، ولكن نحن الخاسرون. ننام أنا ولينا لاحقاً على سرير واحد، ذلك بعد أن نلعب لعبة المقص والورقة والحجرة، الطّريقة الدّيمقراطيّة الّتي نتّبعها لنحدّد من ستربح وتنام إلى جهة الحائط، ولا حسد للّتي تخسر لأنّها عندما تنام ستمتدّ يد الشّبح من تحت السّرير وتسحبها إلى عالمه الّذي ستعيش فيه مدى الحياة، حيث تنام بين المقابر وتأكل العناكب والصّراصير. «رايح جيب تِنس الكهربا وجايي، أصحكُن تكملو بلايي».

نظرتُ إلى ساعة الحائط وتبيّن لي أنّ الوقت أصبح في الثّانية بعد منتصف اللّيل، أي مرّ بسرعة دون أن نشعر. اشتهيت أن أشرب شراب الشّوكولا السّاخن، هيك هيك بعد في «مارشمَلو»، بحطّن بالشّوكولا تَيدوبو وإشربُن هنّي ودايبين، «مين بدّو

‹هوت تشوكلت›؟»، «أنا» «وأنا!»، أجاب يوسف ولينا وكأنّهما طفلان وأنا الفتاة الرّاشدة الّتي تسألهما إذا ما كانا يريدان «بون بون»، وبعد ثوانٍ معدودات سمعتُ صالح يصرخ بإجابته هو أيضاً من الدّاخل «أنا كمان بدّي!». العمى! لَهَالدّرجة الصّوت بوَدّي بالليل؟ كيف سمعني؟! منيح إنّو ماما ما فاقت من ورا جعارو. أخذتُ الشّمعة الّتي كانت تلعب بها لينا في أوّل السّهرة وحرقت إصبعها بها لاحقاً، لأنّ لينا كانت جالسة مُكتّفةً يديها وآخذةً على خاطرها من الشّمعة و«مسَنغفيتا» وكأنهاّ قطة وعضّت إصبعها.

عندما دخلتُ إلى المطبخ متلهّفة لأصنع الشّراب، فرِحة بأنّ هناك شراباً لذيذاً لأشربه في هذه السّهرة، رأيتُ فراشةً كبيرة تحوم في سقف المطبخ، فمددتُ الشّمعة نحوها لكي أرى ألوانها الزّاهية، ولكن وا أسفاه! «صر - صرص - صررر- صرصووور!!». هذه الصّرخة كانت كفيلة بإيقاظ أمّي.. أوه أووْ.. انتزعت السّهرة.. جاءت أمّي لتُرينا الوَيل وهي تمشي مثل المومياء وتحكّ رأسها، «بعدكُن فايقين؟! صارت السّاعة تنتَين وتِلت! يلّا عالنّوم، يلّا قِدّامي تشوف، يلّا!»

«لا ماما پليز قاعدين ومبسوطين ومِش جايينا نوم أصلاً»

«شو مِش جاييكن نوم؟! إنتَ بعدَك فايق وعندَك جامعة بكرا من السّاعة 8؟ وإنت ما عندك مدرسة بكرا يا ست؟! لَيكي كيف صار وجّك أصفر وطويل متل المَعلقة من السّهر! بكرا بينشَف دمّك. أنا مِش ناقصني بعد إلّا إنّي حَملِك على المستشفى. رِيتني موت تإرتاح منكن. قوموو ناموووو!!»

في هذه اللّحظات كنتُ لا أزال جامدةً في مكاني في المطبخ ولا يخرج من فمي أيّ حسّ، وأدعو بيني وبين نفسي أن لا تشعر أمّي بالعطش وتدخل إلى المطبخ. يا الله كيف بدّي قيمو للصّرصور الميّت هلّأ؟ ما فيّي خلّص علبة الكلينكس عليه. خَلَص بكرا بقِلّو لصالح يشوف شغلو، شبيهي بالخيانة يلّي، مِتلي، معش ضهر من القُوضة ولا فَرجا صورة وِجّو وأكيد عامل حالو نايم.

الملكة أصدرت أوامرها ونحن الأولاد المطيعون سرّبنا إلى النّوم، طبعاً بعد أن سمعتُ أقسى الكلمات من إخوتي لأنّني خرّبتُ السّهرة ولم يُكمل يوسف قصّة الجنّيّة الّتي كانت ترمي عليه التّفّاح من أعلى الشّجرة. ولحظّي النّحس، لينا الّتي فازت ونامت إلى جنب الحائط في تلك اللّيلة، وأنا بقيت كلّ اللّيل قلقة ولم أستطع أن أنام، ويدي اليمنى تخدّرت ولم أجرؤ أن أتقلّب إلى الجهة الأخرى، كما أنّني غطّيتُ نفسي من رأسي إلى أسفل قدميّ كالشّرنقة ببطّانيّة السّرير فلم يدخل كمّ كافٍ من الأوكسجين لكي أتنفّس، لكن مع ذلك لا يُمكن أن أفتح البطّانيّة ولا حتّى فتحة صغيرة، مِش لازم يشوفني الشّبح. عبَق الهواء بثاني أوكسيد الكاربون تحت البطّانيّة فأصبح حارّاً وكنت سأبكي من شدّة الحرّ. يا ربّي ليش بِحب يفتري علينا يوسف؟ بس مِش الحق عليه، الحق عليّي بِلّي بعدني ما تعلّمت درس. في النّهاية طفح الكَيل، لم أعُد أستطيع التّحمّل، وبدأت أقنع نفسي بأنّني أتصرّف كالأطفال ولا يوجد شيء يدعو للخوف. خَلَص يا بنت، كوني واعيي، معقول هَالكَم قصّة يعملو فيكي هيك؟ أخذتُ قراري، ورحتُ أنزع البطّانيّة عن وجهي شيئاً فشيئاً.. فلم يحصل شيء.

بدأتُ أنظر يميناً ويساراً وجسدي كان ما يزال يرتجف. كان هناك عدّة أشياء في الغرفة تخيفني في الظّلام، كدمية بابا سنفور الّتي تصبح قزماً ممسوخاً والمعطف الّذي يتحوّل إلى مجرم سفّاح والسّتائر الّتي كلّما هبّت رياح من الشّبّاك أراها كالأشباح. لاحظتُ من طرفِ عيني حركة خفيفة في المعطف المعلّق إلى جانب الخزانة لكن عندما نظرتُ إليه لم أرَ أيّ حركة، لذا افترضتُ أنّني أتوهّم، فأشَحتُ بنظري عنه. وفجأة وبكلّ ثقة، نزل المعطف من مكانه ومَشى نحوي وامتدّت يَدٌ من كُمّه مسلّمةً وقال، «هاي».. فأخذ عقلي إجازةً أبديّة.

ضد مجهول

سمير شيبان

الأحد 20 أيار، لم يكن يوم عمل روتيني بالنسبة إلى رجل المهمات الصعبة في وزارة الداخلية، الرائد أدهم، الضابط الملقب بـ «شرلوك هولمز» الوزارة. سيارات إسعاف، أضواء زرقاء وحمراء تلمع في عينيه، وأصوات الناس الواقفة خلف الشريط الأصفر تزيد من حدة توتره وجموده أمام 6 جثث هامدة في أحد شوارع المدينة.

لأول مرة يشعر بإحباط يتملكه من رأسه الذي كان يقطر كندى الشتاء إلى رجليه المثبتتين كالقصب.

- سيدنا خلينا نبلش بالتحقيق مع سكان الحي بلكي منقدر نلقط طرف خيط.

- جبلي هالحيوان اللي عم يتفصحن قدام الكاميرا ولحقني.

بدأت التحقيقات والأسئلة على أمل التمكن من معرفة هوية القاتل. لكن الأجوبة كانت متشابهة، منهم من كان في منزله وسمع صوت إطلاق النار، ومنهم من كان في متجره وخرج ليرى الجثث مرمية، وأفضل شاهد أضاف أن مطلق النار كان يلبس قميصاً أبيضاً وبنطالاً أزرقاً رآه وهو فار من الشارع.

تمتمات الناس وضجيجهم كانت تزيد من حرارة التوتر في صدره، خوفا من أن تهتز هيبته بين زملائه وأن تتحول القضية إلى محقق آخر. وبعد محاولات فاشلة للتوصل إلى أي شيء يدل على الفاعل، قرر الرائد أدهم أن يتنحى عن القضية.

فجأة اتصل مساعده، وأخبره بأن خبراء المعمل الجنائي عثروا على شعر في يد إحدى الجثث ناتجة عن عراك بالأيدي. أمر الرائد بإرساله إلى المعمل الجنائي وإحضار التقرير إلى مكتبه مع هوية الجاني.

خلال 48 ساعة كان المجرم جالساً كطبق طعام ساخن على مائدة في غرفة التحقيق. راح الرائد أدهم يدور حوله كأفلام السينما متباهياً وكأنها كانت أسهل جريمة عمل على كشف فاعليها.

- لما شفت الجثث فكرتك قاتل محترف، ورح استمتع بمطاردتك. بس هياك وقعت بكل سهولة، لهيك ما تلف وتدور معي. ليش قتلت الست ضحايا؟

- بكره نهار الأحد.

شنطة سفر

سمير شيبان

- خلص جماد وخليك طبيعي.. شلقت الدب علينا.

- مش قادر، والله إذا انكمشنا فيهم مننحبس مؤبد.

- قلتلك إهدا، عنجد إنك ما خرج عز. تعودت كل عمرك عالدين والشحادة. شو بدو يعرفهم شو في بالشنطة؟ المعلم خبا البضاعة بطريقة لا كلاب بوليسية ولا سكانر بيكمشهم.

- ولله ما بتعرف، هيديك المرة ظمتنا. ومش كل مرة بتسلم الجرة.

- طب سماع، شفت الشيخ اللي قاعد بالوج؟ قوم سلم عليه وقعود معو بلكي التوتر اللي عوجهك بخف وعيون الناس بتروح عنك. كلها نص ساعة بتختم جوازك وبتصير بباريس وبتصرف بضاعتك وبتعيش ملك.

نهض سمير من مكانه وتوجه نحو الشيخ، بوجه استبدل التوتر والخوف بنور الرحمن وتقوى خالية من أثر السجدة على الجبين. استقبله الشيخ وسلم عليه بحرارة. راح سمير يخبره بأنه أتى إلى فرنسا لاجئاً باحثاً عن عمل، بعد أن أنهى تعليمه الثانوي، لكنه لم يكن قادرا على الالتحاق بالجامعة نظرا لعدم قدرته على دفع أقساطها، حتى الجامعة اللبنانية، الجامعة الرسمية الوحيدة في لبنان، لأن رسم تسجيلها كان مصروف بيتهم شهريا. وأخبره عن والده الذي كان يعمل موظف بلدية بخمس مئة ألف ليرة

لبنانية شهريا ليطعم منزلاً مؤلفاً من سبعة أشخاص. فيما كان الشيخ يصغي إليه ويعظه بالنصوص الدينية التي تتحدث عن الصبر وأن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وما الدنيا سوى امتحان واختبار.

حان موعد ختم جواز السفر وتسليم الشنطة إلى عناصر الشرطة الفرنسية للتفتيش. خلال ثوان سبقت تقدمه نحو الشرطي، أسألة كثيرة راحت تدور في رأسه، ماذا لو وجدوا ما في الشنطة؟ كم سنة سأمكث في السجن؟ بالأحرى كم سنة ستضيع مني؟ ماذا ستكون ردة فعل أمي؟ ماذا سيحدث لو تراجعت وطلبت العودة حالا إلى لبنان؟

مرت الشنطة على آلة التفتيش «السكانر»، لكن الشاشة أظهرت بداخلها عباءة، عمامة، سجادة صلاة، مسبحة، وقرآن. صدم سمير والتفت إلى الشيخ ليناديه ويعطيه شنطته. لكن الصوت الذي حرضه على نقل المخدرات نصحه بأن يمر بسلام بدون أي مخاطرة ويترك الشنطة المهربة للشيخ.

ختم الشرطي جواز السفر بنظرة فيها شيء من التعجب والخطر. لكن سمير لم يعر ذلك هتماماً، لم يعر أي شيء اهتماماً. الخطر قد زال، وأصبح بإمكانه على الأقل أن يعمل في بلد يضمن له طبابة ومعيشة كريمة ولا خوف من أن يموت في آخر حياته غير قادر على دفع حتى ثمن دخول «طوارئ» المستشفى. بعد أن ختم جواز السفر ودخل إلى المطار، أوقفه أحد عناصر الشرطة وقال «شيخ سمير، نحتاج إلى القليل من وقتك، تفضل معنا إلى غرفة التحقيق».

نون نور

سمير شيبان

- اليوم ليس يوم إجازة.

كان هذا أول شيء قلته وأنا على باب الشركة. موقف السيارات أمامها فارغاً، كذلك مكتب الاستعلامات. حتى عنصرا الحراسة العجوز أبو محمد الذي يغني طيلة دوام العمل «جمالك بالهوى طاير» وعباس العشريني المقطب الحاجبين الذي يخضعك لعملية تفتيش دقيقة في كل مرة تدخل وتخرج، لم يكونا موجودين. مشيت يومها بثقل، وكأن أكياس رمل مربوطة بقدمي. الحمد لله كشك أبو ساري ليس مقفلاً، أبو ساري أثناء القصف الإسرائيلي لم يقفل، سأموت من عطشي. وفي طريقي إلى أبو ساري أطلت نور بشعرها الأسود وفستانها الأفتح من شعرها بقليل، والنظارات الشمسية التي لا تفارق وجهها، مثل أم كلثوم - ليس شكلاً.. بل في صوتها - صوتها موسيقي بامتياز. طبعا أنا حفظت كل تلك التفاصيل، ليس لأنها دائما ما تظهر بتلك الثياب، بل تلك الصورة التي رسمتها داخل رأسي. رغم أنها في ذلك اليوم كانت ترتدي قميصاً وسروالاً عاديين. سألتني كيف حالك، كان جوابي باطنيا «أصبحت بخير». توجهت بحديثها لأبو محمد «أبو محمد هل تختبئ مني ولا تريد إلقاء التحية؟» رد أبو محمد «كلا سيدتي، فأنا جالس هنا منذ السابعة صباحا، لكن على ما يبدو أن الأستاذ سامر من يختبئ، لم يرد السلام وهو واقف ينظر إلى السيارات المركونة في الموقف». منذ ذلك اليوم بدأت أشعر بدوخة وألم في رأسي. سألتني إذا

كنت مغادراً، مشينا سوياً من طلعة الشركة إلى موقف السيارات العمومية، تلك الطلعة التي كنت أشتمها كلما مشيتها تمنيت حينها أن لا تنتهي، لكنها انتهت وأنا أفكر كيف أحدثها. كان طريقي إلى المشرفية عنوان منزلنا القديم، وهي إلى الطيونة. وجدنا سيارة عمومية متجهة إلى الطيونة فقط.. غادرت وعيناي مثبتتان على السيارة متمنياً أن يوقفه شرطي سير طالباً أوراقه.

- أبي.. لقد أخبرتني تلك القصة مئات المرات. أظن أن غيرة أمي عليك وشكها في تصرفاتك واجب.

- تغار؟ لقد زوجتك أنت وإخوتك وأصبحت جداً.. تلك كانت أيام شبابي.

- أبي اترك تلك العشر ليرات من يدك وكف عن إخراجها من محفظتك. قل لي ماذا تريد؟

- أريد إعطاءها إلى ذلك الفتى الذي أحضر الطعام.

- إنه الممرض، أحضر لك العشاء والدواء.

- هذه العشر ليرات التي تسخر منها لها قصتها الخاصة.

رغم أن سامي سمع تلك القصة ألف مرة ولكنه تركه يكمل.

- في يوم من الأيام كانت تتكلم عن أحمر شفاه لونه أحمر داكن تبحث عنه في المتاجر لكنها لا تجد مثله. اشتريته لها وأعطيتها إياه في اليوم الثاني. لكنها لم تقبل أخذه من غير أن تعطيني ثمنه.. هديتها أحمر شفاه وأعطتني تذكاراً ما زلت حتى اليوم محتفظاً به.

- فلترتح قليلا يا أبي وهيا كل لتتناول الدواء.

- لا أريد الأكل. منذ أن تزوجت أمك وأنا أقول لها إنني لا أحب الأكل الخالي من الملح. لكن عبثا أحاول.

- نم يا أبي لترتاح قليلا قبل عملية الغد.

نام أبو سامي، وظل سامي ساهراً بقربه. ينظر إلى والده وإلى شاشة تخطيط القلب. لا يرقبها، بل ينظر إلى تلك الخطوط التي تظهر عليها على شكل حرف نون بالإنكليزية. في كل سهرة منفردة لهما كان والده يحدثه عن شبابه وعن نور.

دخل الممرضون في الصباح لنقل أبو سامي إلى غرفة العمليات.

الممرض: أستاذ سامي أريد منك أن تنزع تلك القلادة من رقبته قبل النزول.

اقترب سامي ونزع القلادة، محيت خطوط الشاشة وأصبحت سطر فارغ وكأنه فصل جهاز التنفس. الأمر الوحيد الذي كان يعلم به سامي بدون أن يسمعه ألف مرة، أن الحرف المعلق بالقلادة ليس نون ناريمان اسم أمه كما كان يقول لزوجته وأولاده، كان نون نور.

أبيض أم أسود

مريم سبيتي

لا شيء هنا يثير الريبة حتى الساعة. أيعقل أنها تكذب أو تلفق ما يجري؟ تلك المرأة حيرتني. كلما اقتربت من دكانها المتواضع الذي يحوي سجائروبعض المرطبات تربكني بحديثها عما يجري. في كل مرة أحاول تكذيب قولها أيعقل أنها تهذي؟

وماذا ان كان هذيانها حقيقة. لا لن أوقع نفسي بدائرة الشك والقلق والحيرة تلك. ففاتنة تهذي هذا مؤكد. أذكر العام الماضي أنها أخبرتني عن رجل غريب دخل دارها للسرقة لكن هذا ما حدث أبدا، حينها كنت عائدا من عملي ومن دخل منزلها الساعة الثانية عشر ليلا كان ابن أخيها مازن الذي يبيت في منزلها عندما يكون عليه العمل في المدينة. لا بد أن فاتنة تهذي هذه المرة أيضا.

دخلت الدار بعدما ابتعت علبة سجائر من دكانها، فاستقبلتني ميادة بحرارة غير متوقعة فهي غالبا ما تكون غاضبة في هذا الوقت وأحيانا تبدأ بالصراخ على أحمد وأيمن «ادرسا بسرعة، لقد مللت منكما ومن دروسكما.» وبت أفكر ما الذي غير عادتها اليوم؟ أيعقل أن فاتنة محقة؟! لقد مضى على عودتي للمنزل شهران في رحلة عمل عندها لم تستقبلني ميادة بهذه الحرارة! لمَ الآن؟ أيعقل أن ما تقوله فاتنة صحيح؟ لا أود التفكير بهذا الموضوع فزوجتي امرأة متزنة ومتفانية فهي تتحمل وحدها عبء غيابي المتكرر عن المنزل اذ تقوم بدور الام والاب في آن واحد.

صحيح أنها تغضب أحيانا لكنها لا يمكن أن تتصرف بالطريقة التي أخبرتني عنها فاتنة.

قاطع أفكاري المقيتة تلك صوت ميادة قائلة «اليوم عيد ميلاد رنا وقد دعتني للعشاء في منزلها بصحبة بعض الصديقات، أيمكنك ملازمة الولدين الليلة؟ أعدك بأني لن أتأخر. وقتئذ بت أفكر أن أقوال فاتنة قد تكون صحيحة وبدأت أرسم في مخيلتي شكل الرجل الذي ستلتقي به زوجتي الليلة. كانت الغيرة والغضب يملآن قلبي لكن لا شيء يمكنه أن يكظم غيظي سوى السماح لها بالذهاب ومراقبتها أقله لأتبين ذاك الخيط الأسود أو لتثبت الرؤية لدي بأنه ما زال أبيض كما عهدته. وبالفعل خرجت ميادة عند الثامنة مساء من المنزل فتبعتها مباشرة. لم أبالِ بالولدين. طلبت منهما فقط عدم مغادرة غرفة الجلوس ومشاهدة الفيلم الكرتوني Ice Age الذي أحضرته البارحة. ركبت سيارة الاجرة التي كنت قد طلبتها سابقا من أحد المكاتب وطلبت من سائقها ملاحقة سيارة التويوتا الخضراء أمامنا. الملعونة قالت إنها ستلتقي صديقاتها بمنطقة الحدث ولكن وجهة السيارة كانت مختلفة. فاتنة اذا محقة فتصرفات زوجتي تدعو للشك. لا ريب أنها بصحبة رجل دنيء. أقسم بأنني سأقتلهما معا حال لقائهما.

بعد لحظات أوقف السائق السيارة قائلا «ها هي تخرج من السيارة يا سيدي.»

حاولت أن أتماسك وتريثت قليلا قبل نزولي وعيناي كانتا تلاحقان ميادة باحتقار وازدراء. بعد لحظات قدم اليها رجل أشقر. وهنا ما عدت قادرا على حمل قدميّ ولكني كنت اردد في نفسي «أيتها القذرة البائسة، أهذا من تخليتِ عني لأجله؟ ما زلت أوسم وأبهى صورة منه». لكن حدثا غريبا حصل منعني من الاقتراب. تقدم رجلان منها واقتيدت زوجتي والرجل لسيارة الدرك.

ركضت فورا لسيارة الاجرة طالبا من سائقها اللحاق بهما. تردد السائق بادئ الامر لكني أقنعته بزيادة أجرته اذا ما رافقني.

وصلنا سويا الى المخفر، هناك تبعت الدركي وسألته عن سبب اقيتاده زوجتي للمخفر. نظرت ميادة الي كأنها ترسم علامات استفهام على وجودي. جاء صوت الدركي مقاطعا «أزوجك هذا؟» أجابت بنعم. فأمر باقتيادي مثلها للداخل للتحقيق. ملأت الارجاء صراخا بأني ما فعلت شيئا لكن الضابط المسؤول رمقني غاضبا: ألم تساند زوجتك بجمع المعلومات لصالح العدو الصهيوني؟ أجبني..

الاسمراني

مريم سبيتي

وصلت الى مدخلَ البناية سريعا فقد كنت على عجلة من أمري للوصول للمنزل علني أنعم بالدفء قرب المدفأة التي تحرص أمي على اشعالها قبيل عودتي، على الرغم من أني ارتديت بنطالين وثلاث كنزات الا أن الدفء لم يتسلل لقلبي طوال اليوم. ففي كانون لا تعرف أشعة الشمس طريق الوصول الى منتصف السماء ويصبح الصقيع الرفيق الدائم الذي يصعب الهرب منه خاصة في الثانوية.

لم أكترث حين وصلت لوجود عسكريين عند المدخل لكن تواجدهما أمام منزل جارتنا أثار فضولي وراحت عيناي تسابقان قدميّ للوصول الى الطابق الثاني. وبسرعة رحت أسأل الدركيين «شو في؟» «شو صاير مع جارتنا؟» رمقني العسكري بغضب كأنه لا يود سماعي. لكني تسمرت أمامه فقد بدا ظريفا، ورحت حينها استعيد ما حصل منذ شهرين يوم وصول جارتنا للشقة المجاورة.

يومها طردتني شقيقتي رقية من غرفتها، فيما كانت تدرس لمادة صعبة على حد قولها لامتحانها في الجامعة اللبنانية فقط لاني ابديت تمنياتي بوجود شاب أسمر فاتن ذي قامة طويلة في منزل الجيران الجدد وبذلك أظفر بعريس وفق المواصفات القياسية التي رسمتها في مخيلتي. «عبير، فلي من الغرفة شاغل بالك العرسان هلأ.» خرجت من غرفتها ممتعضة فهي وصديقاتها يحضرن نشرة اخبارية مفصلة عن شباب الجامعة كتلك التي تعد للنشر الساعة الثامنة مساء. ومضى يومان بعيد وصولهما. التقيت

بالجارة الجديدة فيما أهم بالخروج من المنزل صباحا. أرعبتني رؤيتها، كانت ترتدي ملابس سوداء غريبة الشكل لا ريب أنها تستعمل للحفلات التنكرية. وجهها المدور ذكرني بالزومبي أما عيونها الزرقاء فتشبه القطط التي أمقتها كثيرا. لوهلة ظننت بأني أشاهد شيطانا. رائحتها ذكرتني بجنازة جدي. اعتقدت ساعتها أن روحه تطاردني.

بعد هنيهة خرجت الجارة من منزلها مكبلة وراح العسكري الظريف يخبرني أنها قتلت زوجها السابق وهي تمارس السحر والشعوذة لقاء بدل مالي مرتفع وقد وقع في شركها العديد من الابرياء.

«يا الهي جارتنا الجديدة قاتلة ومشعوذة وأنا كنت أتمنى الحصول على عريس اسمر من جيرتها.»

صبا جدتي

مريم سبيتي

يخيل الي كلما طرقت بابها الحديدي ذا اللون الاحمر اني اطرق باب صبية في العشرين من العمر. فجدتي امرأة تشبه الصبايا بكل تصرفاتها فهي مثلهن مفعمة بالحياة، يغمر قلبها الحب ويرافقها النشاط طوال النهار كفتاة في مقتبل العمر. أما روحها المرحة فكفيلة بتحلق الصبايا حولها يوميا على فنجان قهوة. عند قرعك الباب تتكفل الابتسامة العريضة التي تعلو ثغرها بالترحيب بك. لم يكن الدخول للدار كما كان يحلو لها تسميته مقيتا كما كانت تخبرني صديقتي سارة عند دخولها منزل جدتها على العكس كنت اشعر ان اليوم الذي اقضيه في منزلها كاليوم الذي ازور فيه مدينة الملاهي التي كنا نزورها غالبا في الاعياد فسعر التذاكر الغالي حسبما تقول امي لا يسمح لنا بارتيادها كلما أردنا. على كل لم يكن يزعجني ذلك كثيرا لان جدتي كانت كفيلة بتحويل ظهرها لمدينة العاب عندما ازورها. اذ تجول في ارجاء المنزل بي وهي تقلد الهررة في طريقة سيرها وكنت استغل تلك اللحظات بالقهقهات العالية والصراخ سائلة اياها الاسراع حتى يخيل الي عندها بأني اركب الفرس حيواني المفضل وأسابق رفاقي واسبقهم حاصلة على ميدالية ذهبية براقة.

كان علينا قضاء نهار اليوم الاول من عطلة الربيع في منزلها. سمعت والدتي تخبر ابي ذلك على مائدة العشاء، فقفزت ابتهاجا من روعة الخبر. ليلتها أخلدت الى فراشي مسرعة عل الفجر ينبلج باكرا ونبدأ بالسير للقياها. حسنا لم يأتِ مسرعا كما تمنيت

لكنني ما إن شهدت النور يتسلل من نافذة غرفتي حتى ايقظت اخوتي على عجل كي يرتدوا ملابسهم. وركضت الى غرفة امي منادية: «امي، حان موعد الذهاب.» لكن أمي وبختني لان الوقت ما زال مبكرا. هرعت الى غرفتي ولكني سأنتظرها لتستيقظ فأنا لا استطيع الذهاب بمفردي.

دقت ساعة الذهاب. رحت أنزل الدرج قفزا ولم انسَ طبعا أن أتزحلق على جانبه. «سأسبقكم جميعا.» قلت كلمتي هذه لأخوتي ما ان خطت قدماي الشارع. وصرت اركض امامهم فيما الغناء كان يرافقني طوال الطريق حتى اني قفزت من الفرح مرارا. أما أمي فقد كانت تنده لي بين الفينة والاخرى طالبة مني الاحتراس من السيارات المارة. وصلنا الى الدار طرقت الباب وانا اصرخ جدتي ها قد اتيت افتحي.

دخلت مسرعة لكن فرحي سرعان ما تبدد فقد كانت في زيارة جدتي صبايا الحي. جلست قرب جدتي ممتعضة لكنني سمعت احاديثهن جيدا فسنية كانت تخبرها عن آخر هدية حصلت عليها من زوجها ونهاد اخبرتها كيف انهالت بالشتائم على زوجها حين اخبرها ان امه ستزورهم لمدة اسبوع لكن حديثها فاجأني فقد كنا نرجو جدتي زيارتنا ولو ليومين فقط. لكن الحديث الذي كانت جدتي تنتظره كان من رودينة. عرفت ذلك حين اعترى وجهها ابتسامة عريضة حين شرعت رودينة تخبرها عن حبيبها. وهنا كانت جدتي تقاطعها دائما بكلمة بحبك هالشب يخرب بيته شو مهضوم لازم اتعرف عليه فما كان من رودينة الا ان اخرجت من حقيبتها صورته. حين رأتها جدتي قالت مش قليلة يا ضرسانة حلو كمان الله يهنيكي يا قمر افش احلى من الحب. ها ستي ستي شو يعني حب؟ حين سمعتني الصبايا بدأن بالضحك وستي صارت تضحك وتقول: بس تكبري بخبرك.

أف، يعني أيمتى بصير كبيرة كل شي بسألك عنو بتقولي لتكبري؟

تائه في فان رقم 4

أحمد شيبان

صحا من غفوته على صوت الفرامل وتوقف الفان المفاجئ. الحاج أبو ريان لامس عمره الثمانين عاما.. وجد نفسه في فان رقم 4، جالساً على المقعد جانب السائق حيث اعتاد أن يجلس دائما. حتى لو كان أحد يجلس في هذا المكان لانهال عليه بالكلمات الحادة آمرا إياه بترك هذا المقعد له، من باب المونة طبعا.. المشكلة الآن أنه نسي إلى أين كان يريد أن يذهب... حين استيقظ كان الفان على مفرق منطقة النويري قد توقف لتركب صبيتان فتيتان تبدوان طالبتين في الجامعة.. راح يقول بينه وبين نفسه:

«رزق الله على تلك الأيام. كنت لا أكلف نفسي أكثر من نظرة لكي أوقعهن في مصيدتي.. الملعونات.. ما أجمل فتيات هذا الجيل. ملابسهن أحلى بكثير من الملابس التي كانت رائجة أيام شبابنا. ثيابهن الآن خفيفة ممزقة ضيقة وألوانها مضيئة.. جمال خارق. أما أم ريان فكانت بأقصى حالات لبسها العصري تظهر بشكل يشبه غريندايزر بأكتاف سترتها العريضة الحادة والشعر الذي يشبه الوسادة... أخ لو ما زال عندي أدراص. الآن لم أعد جذابا البتة.. لكن أنا أين كنت؟ أيعقل أني كنت في زيارة عند أبو نضال في الحمرا؟! لكني أتذكر أني على قطيعة معه منذ خناقتنا في 1989، بالتأكيد لم أكن عنده. أففف أين ممكن أن أكون ذاهبا؟ أساسا أنا أين أسكن.. أفضل شيء أن أنتظر ريثما أتذكر. مع أن هذا السائق ثقيل الدم لا يطاق.»

كان السائق سريع الغضب عديم الصبر. يلتصق بسيارة إسعاف يمشي خلفها ليفتح السير أمامه. يسلك زواريب وأزقة فرعية ويتخطى باقي السيارات بجنون كأن المريض معه لا في الإسعاف. صوته رهيب للغاية. ما إن وصل لمنطقة الطيونة حتى صرخ قائلا الجملة التي تعتبر من أساس المهنة :»حدا عالطيونة من فوق؟» وينزل النفق في الحالتين.. ثم عاد أبو ريان يحدث نفسه:

«لا أتجرأ أن أسأله عني. لماذا؟ ليسخر مني ويضحك ببلاهة أمام الصبايا؟؟!»

هو سمج جدا لا محالة. قد كتب على أعلى الزجاج الأمامي :»تنين ما إلهن أمان الفريم والنسوان» وعلق مسبحة طويلة يربطها بعنق المرآة الداخلية ويمسكها بيده اليسرى فتبدو معلقة كخط بينه وبين الزجاج. يسبح على أنغام تامر حسني: «جيتي إنت بسرعة يا بنت الإيه».. ومن المؤكد أنه حين يصل إلى موقف الفانات يطرب الشارع على صوت حسين الديك.. وصلوا إلى حاجز الصفير والتصق بيمينهم فان آخر من خطوط «الكولا - الشويفات».. فراح السائقان يتحدثان سويا والمركبتان ملتصقتان ببعضهما بعضاً مع أن السير قد تقدم عنهما. كان أبو ريان ينظر إلى ركاب ن المجاو شعر تجاههم بمودة كأنهم جيرانه. حدق بهم واحدا تلو الآخر مع تحية ب بالنسبة له. اجتازوا الحاجز وما انفصلا عن بعضهما بعضا كأنهما فان واحد. يتحدثان عن أشياء وأشخاص ليس لدى أبو ريان أي فكرة عنهم. انتهى حديثهما بجملة: «تسابق من هون لأول راكب». وانطلق السباق. ما لبث فانهم أن تخطى عشرة أمتار حتى صاح راكب في الخلف «نزلني هون إذا بتريد» ومن لحظتها حتى سمعه السائق كان قد قطع 200 متر تقريبا. توقف ورد عليه بخبث واستحقار لأنه خسره السباق. وبوقاحة وسذاجة مد الراكب يده حاملا 50 دولارا. كان الله بعونه ورحمه من أيدي هذا الثور السائق، فقد ترجل من الفان وكاد يبرحه ضربا ويدميه لولا أن تدخل أبو ريان قائلا «خلص عليي».. في الفان يرى الراكب أشياء كثيرة، دائما يوجد الشاب الذي يسمع موسيقى صاخبة ويسمع الركاب كلهم مع أنه يضع سماعات في أذنيه. والراكب الذي يتفرس في شاشة هاتف الصبية التي تجلس جانبه. الضحية بين الركاب هو الذي لا يجد مقعدا سوى الكرسي الذي

يطوى. كان في الفان عائلة كان الله في عونهم مظهرهم يثير الشفقة. الأم خبيثة ترتدي ملابس النوم، تكيل لزوجها كلمات قاسية أمام الأولاد دون أن يتجرأ على لفظ حرف واحد..

«طب ما هي وجهتي؟ أأسأله؟ لا لا سأبقى معه إلى أن أتذكر. الأمر كله لا يكلف أكثر من ليرة من حي السلم إلى الحمرا. سأدفع 10 ليرات لا يهم. المهم أن أتذكر وبلا حاجته.. وصل إلى الموقف وحمل ركاباً جدداً أو «نقلة تانية» بلغة السائقين، وأبو ريان لم يتذكر شيئاً حتى الآن. فكر قليلا ثم صاح في نفسه «وجدتها»، سأكلمه بفوقية لهذا الوغد. أصرخ به وأسأله عن وجهتي. نعم نعم يا لها من فكرة سديدة.

وشعر بفخر ورضا عن ذكائه ثم عبس وصاح:

- ولا أنا وين نازل؟؟!

- يا بابا ما من الصبح قلتلك بوصلك عالبيت، قلتلي دايق خلقك بدك تضل معي!!

- آه إي يلعن أبوك كلب عمبمزح معك. تضرب عهالسواقة...

ثمة أشياء لا تنسى..

أحمد شيبان

لطالما احتضنتك هذه الأريكة... كنت دائما تجلسين عليها كأنها مسجلة باسمك. ولما كنت أفقدك يكون «اللابتوب» أمامك ثم تقولين «عمبحضر مسلسلي»...تارة «لو» وتارة أخرى «العشق الممنوع». لم تدعي مسلسلا واحدا يفلت منك أو يعتب عليك... حتى لما كنت أتصل من عملي، أجدك متمسمرة أمام «اليوتيوب»لدرجة أنني حفظت ساعات الدوام كل ساعة باسم مسلسل. وأحلاها على الإطلاق كان «الأزقة الخلفية» لأنه يتوافق مع آخر ساعة...

وقد اعتدت أن تجلسي كل صباح هنا على هذه الشرفة المطلة على زحمة طريق المطار ومطعم الساحة وتشربي فنجان البيبسي... وأنا أصرخ: «بيبسي عالصبح؟؟»

لا، ثم تشتكين لي من وجع بطنك!!!... كل شيء في هذا البيت يشتاقك لكن ليس بقدر اشتياقي...

وهذه الغرفة الصغيرة كانت لـ Bob.. أتذكر مرة حين اتصلتِ بي لتخبريني عن رسالة قد كتبها وعلى وجهه علامات الغضب والمظلومية:

«أعذار الرسوب في الرياضيات...»

ضحكنا بجنون لنصف ساعة بلا توقف خاصة عندما كتب أن المعلمة دبرت له هذه المكيدة لأنه من مشجعي برشلونا فهي مدريدية وقد خسر فريقها الكلاسيكو منذ

يومين...

أففف لو تعودي لهذا البيت. الجدران قد حفظت مكان صورك التي كانت معلقة عليها بلون أفتح من باقي الحائط. وحوض السمك القديم لا يزال أثر أطرافه واضحا على البلاط. كنت عندما أريد أن أرضيك أسمعك أغانيَ لصابر الرباعي، فيزول كل الغضب أو الحزن عن قلبك. لا تزال كلمات «يا عسل» محفورة على الخزانة الخالية ها هنا. وأنت كنت تحاولين إرضائي بأغاني Pierre Bachelet فأحزن وأغضب أكثر وأكثر. طب ماذا أفعل أقسم أني لا أفهم كلمة واحدة بالفرنسية !!...

الفستان الزيتي الذي كنت تحبينه أكثر من غيره شنيع جدا بالمناسبة، لكني كنت أقول عكس ذلك كي لا تحزني، فثمنه مصيبة حتما.. أونحن انفصلنا لسبب غير هذا؟! عندها لم يكن باستطاعتي أن أوفر لك عيشة كالتي تريدينها أنت وأمك الفاضلة...

من حينها وأنا أعجز عن إكمال حياتي على نحو طبيعي. كيف لي أن أنساك واسمك في وجهي أينما ذهبت. حاضر في كل مكان: مياه الريم، ميس الريم، ريمكو للسيارات، ريما كركي، كل مرة أتعرف فيها على فتاة أفاجأ أن اسمها ريم، لك حتى نادي Chelsea استقدم لاعبا اسمه ريمي...

المطبخ لا يزال كما كان. صورك فيه ما زالت معي على الـ whatsapp أيام الـ bold 2 الذي كان معك قبل انفصالنا.. لا شك أنك الآن بدلته على أقل تقدير بـ iphone 11s. دائما تخيفني فكرة أن تكوني قد نسيتني، لكن مما لا شك فيه أن هناك أشياء من المستحيل أن تنسى، مثل جملة والدك: «ما في نصيب» من المستحيل أن تنسى. رأيت أمس الأول شقيقك Bob. ما شاء الله كبر حتى أصبح كالدب تماما. أعطيته عنوان بيتي الجديد. شرفوني بزيارة يوما ما. عنواني سهل جدا لا يتوه أبدا.. إذا كان باستطاعتك أن تنسيني، البيت يستحيل نسيانه... بيتكم القديم صار بيتي.

كنا

أحمد شيبان

كنا نلعب سويا، مجموعة واحدة أو عصابة واحدة كما كان يحلو لنا أن نسمي أنفسنا. أولاد عم وعمات نمضي الوقت معا في بعلبك. العصابة ما كانت تنشط إلا عندما نأتي أنا وأخي سمير من بيروت. كنا نلعب معا وندافع عن بعضنا بعضاً فندخل المشاكل معا.

أما الآن فانقسمنا وقتلنا بعضنا البعض...

كنت أعشق هذه المدينة ربما لأنه لم يكن عندي صداقات كثيرة في بيروت. وقتنا هناك كان مقسوماً لنوعين. الأول وهو الوقت الأغلب، أي العطل العادية. بالطبع كانت هذه العطل منظمة حسب برنامج عفوي ربما. في الصباح كنت أستيقظ باكرا وأسرع إلى الشرفة المشتركة مع بيت عمي لألاقي ابن عمي علي محسن - لكثرة الأشخاص الذين اسمهم علي، كنا نلصق اسم والده خلف اسمه منعا للالتباس - كنا نستيقظ قبل الجميع.

آه بالمناسبة، علي أنا قتلته...

كنا نصطبح سويا نراقب سائقي الـ «تراكتورات» وقد كنا نتعجب كيف أن أحدا يستيقظ قبلنا ونتساءل أين يذهب كل هؤلاء في هذه المدينة. وننتظر حتى تصحو جدتي التي كنت أنام عندها لنقفز على زاوية الشرفة محدثين هزة صغيرة لنقنعها

هي وأمي أن ثمة هزة تضرب المدينة... نجحنا مرة ولكن بعدها لم نستطع لكننا لم نستسلم. بعد ذلك يفتح بابه محل الكرواسان المقابل. يا لها من رائحة لا تقاوم... جدتي دائما تطبخ لنا الفول. أعترف أنه لذيذ للغاية، إلا أن بطننا تتسع لقطعتين من الكرواسان.

بعد ذلك ننتظر أخي سمير وابن عمي محمد ريثما يستيقظان. كانا «تاغ تيم» كما في المصارعة. كانا يستيقظان متأخرين...

أما الآن فمحمد قتل سمير. كان أسرع منه. لم يطلق النار عليه حتى، بل طعنه بسكين تحت الجسر.

بعد أن يستيقظا نجتمع مع الباقين ونذهب مباشرة لدكان «عمو غياث» ونتسابق ليصل واحدنا قبل الآخر، ذلك أن للجلوس أمام دكانه مراتب:

1- الكرسي الأحمر ذو البقع الرمادية وهو الأعلى لأنه لا يوجد كرسي غيره.

2- الحفة العالية على يمينه قرب الباب والتي غالبا كانت من نصيبي.

3- درجة الحديد على يسار الكرسي.

4- الباقون لا نصيب لهم في الجلوس فيسندون ظهورهم للخزان.

نشرب كولا ونرد لعمو غياث «الفرغة» أي الزجاجة.

بعدها مباشرة يحين وقت قطف التوت أو بمعنى أدق سرقته. مع أني لم أكن أحب التوت، إلا أنني كنت أجد لذة في قطفه فكنت أكثر القاطفين بينهم. بعد ذلك نرجع لنتناول الغداء معا عند جدتي ثم نمضي ما تبقى من النهار على الرصيف قرب المنزل.

أما النوع الثاني من الوقت في بعلبك فهو الأعياد. في الشتاء فطور فاخر عند صاج أبو حسن وحرب ثلج في مرجة رأس العين. أما الغداء فعند «البيتزا أونو» أو مطعم أبو ربيع حسب العيدية.

أما صيفا فقد كان يأخذنا جارنا الحاج أبو محمد بفانه البرتقالي القديم الذي لا يخلو

من بعض الصدأ على أطرافه إلى مسبح التل في دورس. كان يحدثنا عن قوة فانه وكم يحتمل من «دعك» على حد تعبيره، ثم يطفئه ويكره في كل منحدر كي يوفر كمية من الوقود. أوكان ليوصلنا لولا أن حفيده معنا؟! مستحيل...

وفي آخر الليل كنا نسهر على سطح المبنى نتسامر ولا يخلو حديثنا من قصص الجن التي نحبها مع أنها تخيفنا...

نحب بعضنا بعضاً كلنا مع أننا أطلقنا الرصاص وقتلنا بعضنا البعض.

كان أتعس الأيام على الإطلاق عندما نهم بالعودة إلى بيروت. فنصلي لله أن يكون طريق ضهر البيدر مقفلاً لأي سبب كان. كنت أجلس في السيارة بالمقلوب. وجهي للزجاج الخلفي وظهري لوالدي. وأتمنى لو أن أحداً يخترع آلة توصلنا لبيروت مباشرة بكبسة زر بثانية واحدة.

لم يبقَ من «عصابتنا» أحد على قيد الحياة إلا أنا ومحمد وحسن. بدل عصابة الطفولة تلك صرنا عصابات مسلحة. أنا قتلت علي، محمد قتل سمير، أما الباقون فقتلهم حسن، 4 من رفاقنا : علي ياسر، وحسين، ومحمود وضرغام... منهم على «السطيحة» ومنهم في القهوة القديمة. لم يبقَ أحد غيرنا. قتلناهم واحتفلنا... terrorists wins Counter.. قد مضى وقت طويل لم نلعب فيه - كما الآن - Counter Strike في محل الكومبيوتر تحت البيت.

مربع

أحمد شيبان

أخيرا جاء يطلبني للزواج. الآن أستطيع أن أثق به ثقة عمياء. جاد أثق به منذ دق قلبي باسمه للمرة الأولى، إلا أنني لم أستطع أن أتخلص من خوفي. لقد وثقت بالعديد من قبله لكنهم خذلوني. جاد شخص حنون فعلا ومن المستحيل أن أجد شخصا مثله. ناجح وكادح. كان يتولى دفع قسط جامعته كله من مردود عمله. ومع أن عمله منهك، لم يتأثر معدله وبقي عاليا. لا يهم أن سيارته «مرسيدس قطش». هذا أمر عادي، بل إنها نعمة. أساسا لا يهمني نوع السيارة، «يا آخد القرد عماله راح المال وبقي القرد عحاله». هكذا كانت تقول دائما عمتي أم ربيع وترددها في كل وقت تتاح لها الفرصة أن تقولها، مع أني متأكدة أنها كانت تقول ذلك لا لسبب سوى أن زوجها بقال متواضع لا يملك شيئا سوى الخضار، حتى محله بالإيجار. لو كان زوجها ثرياً أو مرتاحاً ماديا لكانت لا تتردد في تصديع رؤوسنا وتصديع السماء بسيرته. اليوم هو أجمل يوم في حياتي. سأحفظ تاريخه ما حييت: 5 آب 2016. أمي حضرت نفسها جيدا وأكثرت من الفوندوتان كعادتها في كل مناسبة مهمة. هي أحبت جاد، ولولا ذلك لما أذنت لنا أن نخرج لمشاهدة مباريات الدوري الإسباني معا في وقت متأخر من الليل. لكن ثمة شيء غريب جدا هنا. والده ليس كما حدثني عنه أبدا. قال إنه كثير الكلام والملاطفة ذو لسان طيب. شكله هو نفسه حسب ما وصفه جاد، كرش وربطة عنق قديمة وشارب يغزوه بعض الشيب. لكن الغريب في الموضوع أنه ساكن لم ينطق إلا بكلمة «مسا الخير».

لا يوجد امرأة لا تفرح بزواج ابنتها. لطالما انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر. أعترف أني قد مارست ضغطا عليها سابقا كي تبتعد عن شباب أحبتهم، لكن هذا كان لمصلحتها. أما جاد فهو مختلف عن أولاءك. هو ذكي، مجتهد ويتحمل مسؤولياته. ولا يناديني «خالتي»، بل يناديني بإسمي «فاطمة» وهذا حقا شيء لطيف ويروق لي كثيرا. هو أيضا خدوم، ما اعتزنا شيء إلا ولبانا دون أن نطلب حتى، فصلح لنا الغسالة وأنهى معاملات البلدية. كما ساعد داليا وأعطاها الكثير من وقته ليشرح لها المسائل الرياضية ولولاه لما نجحت في مواد الرياضيات في الجامعة. والأهم من ذلك كله أن أهله لا يتدخلوا في شؤونه البتة. أمه – أعانها الله – مقعدة وتحبه كثيرا وتكسبه رضاها. وأبوه رجل محترم لا يوجد في باله سوى عمله حسب ما تقول داليا. ولكن عجبا، ما باله هكذا ساكن مرتبك كطفل خجول لم ينطق بغير كلمة «مسا الخير» من نصف ساعة!!

بعد انتظار طويل منهك، أخيرا جاء هذا اليوم المنتظر. كنت أتمهل قبل هذه الخطوة ريثما أجد عملا مناسبا فأتقدم لطلب يدها. داليا هي الفتاة التي كنت دائما أرسمها في بالي وأفكر أني أجدها يوما ما ونرتبط. فتاة ليست بسطحية ولا حياتها محصورة بالمسلسلات التركية والنرجيلة. لها آراؤها السياسية والدينية وعندها قضايا وأفكار جديرة بالمناقشة. تحب الموسيقى وتتعلم العزف على القيثارة. تشاهد كرة القدم وتشجع فريق فالنسيا.. هل يوجد أحد هكذا؟؟!! تكتب رسائل الواتسآب بالعربية حتى. فماذا أريد أكثر من ذلك؟؟! هي ليست ملكة جمال، لكنها بالنسبة لي تساويهن جميعا لا بل أكثر. قصيرة ومرحة. أجمل ما فيها ذلك الشقار في طرف شعرها. تأخرت عليها. كنت أنتظر حتى أتخرج من كلية الهندسة وأجد عملا مهما كي لا أدع مجالا لأي حجة لعدم قبول ارتباطي بها. مع أنها تعيش مع أمها وحدهما بعدما توفي والدها. من جهتي أنا أضمن عدم اعتراض والدي. هو أساسا يثق بقراراتي ثقة عمياء. منذ صغري وأنا لا أتيح له فرصة كي يلومني على أي خطأ صغير. أمي لم أقصر معها بشيء وفي المدرسة كنت متفوقا ومقربا من كل الأساتذة. كنت الأول في صفي دائما من صف الخامس حتى التخرج. وكانت علاقتي مع الجميع يملؤها

الاحترام والتقدير المتبادل. ولما كان أبي يرى ذلك، يحضنني ويقول بحنان: «ما حتعرف شو حاسس إلا لما تصير أب». أما الجامعة فقد أخذت نفقاتها على عاتقي وسددت القسط من مردود عملي الجزئي حينها. هو على كل حال لا يتدخل بأمور حياتي لأنه دائما مشغول لا يشغل باله سوى عمله. لكن الغريب أنه لم يتفوه ببنت شفة منذ دخولنا سوى بعبارة «مسا الخير»، مع أني أعرفه جيدا كثير الكلام، حسن اللسان و «نسونجي».

أففففف كم انتظرت هذه اللحظة. ابني جاد الذي أفتخر به سيتزوج. لكن هذه الفرحة كلها كانت قبل دخولي هذا البيت. لم أتعرف إلى أهل الصبية لأني أثق بخيارات جاد وأصلا لا وقت لدي لذلك. أما الآن فأتمنى أن تشق الأرض وتبتلعني. أأذهب أم أتكتم على الحقيقة؟ أأطلب يد هذه الفاتنة ابنة الفاتنة لابني أم ماذا؟! الأفضل أن أستأذن وأرحل. مع أن أمها جذابة للغاية وتهتم بمظهرها. صوت كعبيها خلف الباب أحلى من مئة مقطوعة لإدوارد غريغ. وأرملة كما قال لي جاد. لم أفكر فيها إلا للحظات قبل أن أقول «مسا الخير» وأرى صورة زوجها معلقة على الحائط مع شريطة سوداء على زاويتها اليسرى. هتان العينان هما نفسهما العينان اللتان كانتا تنظران إلي بخوف وأنا أطلق النار على هذا الرجل أواخر الأحداث.